الصحيح المهذب لكتاب

أهوال القبور

وأحوال أهلها إلى النشور

لأبي الحسن علي بن أحمد الرازحي

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

الصحيح المهذب لكتاب

أهوال القبور

وأحوال أهلها إلى النشور



اسم الكتاب: أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور

إعداد الشيخ : أبي الحسن علي بن أحمد الرازحي

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٧٥٨٤.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ١٦٠ .

القياس: ١٧ X ٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ/ عادل المسلماني .

٢٠٢٠

الإدارة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القمة

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ
يحيى بن علي الحجوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، وأشهدأن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فقد تصفحت جُل رسالة القبور لأخينا الباحث الفاضل أبي الحسن علي ابن أحمد الرازحي – حفظه الله – فرأيته بذل فيها جهداً طيباً – .

يحيى بن علي الحجوري
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحـمـد لله الذي تـتـابعت على خلقـه نعـمـهُ ، وترادفت لديهم مننه ، وتكاملـت فيهـم حججـه ، بواضح البيان وبـيَّن البرهـان ومحكـم آي الفرقـان ﴿ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] وصلي الله على النَّبي المرتضى وخاتم الأنبياء محمد وآله وسلم تسليماً كثير.

أما بعد :

فإننا في (زمان) قد كثرت فيه الأهواء وتشتتت فيه الأراء وعم الجهل بكتاب الله وسُنَّة رسوله ، وظهرت البدع من كل حدب وصوب وللأسف أنها وجدت لها آذاناً صاغية وقلوباً واعية تهش لها وتبش وتقوم لها وتقعد وتزبد لها وترعد .

ولكن الله سبحانه وتعالى قيض لكل بدعة ظهرت من يردها ويكشف عوارها وذلك على مر التاريخ كما سيأتي لك بيانه – إن شاء الله – وقبل ذكر ذلك أحب أن أوقفك علي نبذ من أصول البدع ومنابعها .

[١] **قال ابن بطة في «الإبانة » (٢٧٦) :** حدثنا أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد وأبو عمر عبيد الله بن محمد بن عبيد بن مسبح العطار وأبو بكر محمد ابن الحسين وأبو يوسف يعقوب بن يوسف، قال : حدثنا أبو بكر عبد الله ابن سليمان ابن الأشعث السجستاني قال حدثنا المسيب بن واضح ، قال : سمعت يوسف بن أسباط يقول : **أصل البدع أربعة** « الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة ثم تتشعب كل فرقة وطائفة فتلك اثنتان وسبعون فرقة ، والثالث والسبعون الجماعة التي قال رسول الله ﷺ إنها الناجية » .

وهذا سند لا بأس بـه والمسـيب بن واضح فيـه كـلام ، لكن قـال ابن عـدي في « الكامل » بعد أن ساق عدة أحاديث تستنكر عليه : « أرجو أن باقي حديثه مستقيم وهو ممن يكتب حديثه » . وهذا أثر موقوف على شيخه فهو أحفظ لمثله » . بل الطرق الأتية تبين حفظه لها .

[٢] **وقال (٢٧٧) :** حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر [١] قال: حدثنا أبو حاتم الرازي محـمـد بن إدريس [٢] ، قـال : حدثنا المسـيب بن واضح السلمي الحمصي ، قال : أتيت يوسف بن أسباط فسلمت عليه وانتسبت له ، وقلت : يا أبا محمد إنك بقية أسلاف العلم الماضين وإنك إمام سُنَّة ، ولم آتك لسماع الأحاديث ولكن لأسألك عن تفسيرها وقد جاء هذا الحديث عن النَّبي ﷺ : «**أن بني إسرائيل افترقوا على إحدي وسبعين فرقة ، وأن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة**» [٣] ، فأخبرني من هذه الفرق حتى أتوقاها ؟ ، فقال لي أصلها أربعة : القدرية ، والمرجئة والشيعة وهـم الروافض والخوارج ... » الأثر ، وفيـه بسند آخر : « وشرها وأخبثها الشيعة الذين يشتمون أبا بكر وعمر » .

[٣] **وقال : (٢٧٨) :** حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر قال حدثنا أبو حاتم الرازي قال حدثني يحيى بن زكريا بن عيسى [٤] .

قال : قال حفص بن حميد : [٥] قلت لابن المبارك : على كم افترقت هذه

---

(١) ثقة مترجم له في « تاريخ بغداد : (٤ / ٦٩) ووصفه بالثقة والفهم وانظر « تذكرة الحفاظ » (٢ / ٨٤٩) .

(٢) هو الإمام المشهور .

(٣) والحديث صحيح لغيره فقد جاء عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة عند أحمد (١ / ٣٣١) والترمذي وابن ماجه وعن معاوية عند أحمد (٤ / ١٠٢) وغيرهما من الصحابة .

(٤) ترجمة ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٩ / ١٤٥ – ١٤٦) وقال صدوق ثقة .

(٥) مترجم له في « التهذيب » وهو صدوق .

(٦) الحرورية : أي الخوارج وقد سُمُّوا بذلك لنزولهم قريةً يُقال لها : حروراء .

(٧) وانظر مجموع الفتاوى (١٧ / ٤٤٧) .



الأمة؟ ، فقال : الأصل أربع فرق : هم الشيعة ، والحرورية [٦] ، والقدرية ، والمرجئة ... » [٧] ثم ذكر تفرق تلك الفرق وأقسامها . وسنده حسن .

وإن أردى هذه الفرق وأضرها على الإسلام هم الشيعة ، ومنهم انبعث كل شر ووبال .

ولذلك قال الإمام ابن حزم : ما ابتلى الله الإسلام بمثل الشيعة والصوفية .

والصوفية إنما هى : فرع عن الشيعة كما يعرف ذلك من يطالع كتب السير والفرق .

■ ولقد ذاق أهل الإسلام الوبال الشديد من هذه الفرقة .

■ وقصدوا هدم منار الدين وزوال آثاره ومازال هدفاً لهم إلى اليوم ولكن المكر السيىء لايحيق إلا بأهله .

■ وأنت لو تأملت التأريخ لرأيت الرافضة لهم القدم الراسخ والباع الطويل في خراب الإسلام وأهله .

■ فمن الذي ألَّب أهل الأهواء في الخروج على عثمان ؟ غير عبد الله بن سبأ – قبَّحه الله – المؤسس الأول للشيعة [١] ومن وافقه من أتباعه ومن الخوارج .

■ ومن الذي ابتدع في الإسلام تلك البدع الكفرية ؟ مثل القول بألوهية على والغلو فيه واتهام جبريل الأمين بأنه خان الرسالة؟ غير عبد الله بن سبأ وأتباعه !! .

■ ومن الذي طعن في حواري الرسول ﷺ وصحبه وقدح في حملة الدين وقواده ؟ ، غير عبد الله بن سبأ وأتباعه من الرافضة والمعتزلة .

■ ومن الذي اتهم زوج رسول الله ﷺ بالفاحشة ؟ غير المنافقين وتبعهم في ذلك الرافضة .

---

(١) **انظر** : « توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ » لتعلم أنه هو المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة البائرة .

■ ومن الذي نفى أسماء الله وصفاته وبدلوا وأولوا في آياته ؟ غير الرافضة وأتباعهم من المعتزلة والزنادقة من الجهمية ومن جرى مجراهم .

■ ومن الذين اتخذوا القبور والمقبورين أندادا لله ، يلوذون بهم من دون الله ويستغيثون بهم ويذبحون لهم ، ويشيدونها غاية التشييد [(١)] ؟ ، غير الشيعة وأتباعهم من الصوفية .

■ ومن الذين اتخذوا من الحروز والعزائم والشعوذة والسحر ملاذاً ومآباً عند المرض والإبتلاء ؟ غير الشيعة وأفراخهم من الصوفية .

■ ومن الذين استحلوا ما حرم الله من التمتع بالنساء فحشاً ، بلا زواج أو حياة زوجية ، ونحو ذلك من المنكرات ؟ غير الشيعة .

■ ومن الذين ينكرون عذاب القبر وخروج الموحدين من النار ورؤية العباد لربهم ، وغير ذلك من العقائد الباطلة ؟ غير الشيعة وأصحابهم من المعتزلة .

■ ومن الذين تسببوا في قهر المسلمين وتمزيق صفوفهم والفتك ببيضتهم علي أيدي التتار ؟ غير ابن العلقمي الشيعي ومن والاه منهم .

■ ومن الذي استقبل قوات اليهود الأمريكية وفتحوا لها الصدور الرحبة في بلاد المسلمين في أفغانستان والعراق مؤخراً؟ غير الشيعة ومن والاهم من الزنادقة.

ولكم تعدد في بوار الشيعة وتسببهم في هتك الإسلام وأهله علي مدار التاريخ والأيام ، ولقد ابتلى الله اليمن بشرذمة من هؤلاء (الفجرة) من زمن ليس بالقريب .

قال الجعدي في « طبقات فقهاء اليمن » ص ٧٥ : « ثم لحق اليمن كله في آخر المئة الثالثة ، وأكثر المئة الرابعة فتنتان عظيمتان :

---

(١) **انظر** : الدر النضيد ، للإمام الشوكاني (ص ٢٢) و« الملحق بالالحاد الخميني » ، الطبعة الثانية (ص ٢٩٠ –٢١٣) ، وتوضيح النبأ (ص ١٠٨ – ١٠٩) .

الفتنة الأولى : فتنة القرامطة..

الفتنة الثانية : أن الشريف الهادي يحيى بن الحسين لما قام بصعدة ومخاليف صنعاء دعا الناس إلى التشيع عند استقراره في صنعاء . . . » .

■ فعاث هذا الرجل بجهل وظلم وطيش في هذا البلد الميمون، ومن لم يجبه بالإحسان طغى عليه بالسنان، وأثار عليه الجهال والولدان ، واستمر حالهم على ذلك ، وحالهم كما قال الصنعاني : حكوا باطلاً وانتضوا صارماً فقالوا : صدقنا ، فقلنا : نعم وعاشت اليمن زيادة على ألف سنة في ظلمات التشيع المبتدع وأباطيل الرفض الممقوت .

■ واستمر الحال على ذلك حتى اختلطت البدعة بدمائهم وأشربتها قلوبهم .

■ وذلك كله تحت ستار « حب أهل البيت والانتصار لهم » دساً للسم في الدسم . **وساعدهم على ذلك أمور منها :**

[١] الجهل المطبق : الذي كان يسود أهل ذلك الزمان .

[٢] غياب العلماء الربانيين وذلك إما بالخوف من سطوة الشيعة بقيادة ذلك الغشوم ، وإما السفك لدمائهم .

[٣] تلك الفتنة العمياء التي كانت تسود اليمن – وغيره – قبل دخول التشيع وهى فتنة القرامطة فكان التشيع أهون عندهم من القرامطة وكلاهما شر ، فساعد ذلك على استقرار عرش التشيع وامتداده وقوة نفوذه وكما قيل :

خلالك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري

■ واستمر الحال على ذلك من دولة إلى دولة كلها على ذلك من الدعوة إلى التشيع والتمسك به ، والوقوف الشديد في وجه كل من أظهر الحق والدعوة إلى السُّنَّة . وفي أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن ظهر العلامة الإمام محمد بن

(١) **انظر** : ترجمة في « البدر الطالع » (٢ / ٨١) و « هجر العلم ومعاقله في اليمن » (٣ / ١٣٦٧) .

إبراهيم الوزير المتوفى سُنَّة (٨٤٠) هـ [١] .

■ فتعلم المذهب المعتمد في اليمن،وهو المذهب الشيعي الذي يسمى بـ « الزيديه » [١] ثم رأى الحق في خلافه وهو التمسك بالسُنَّة [٢] .

■ فتمسك بالسُنَّة ودعى إليها ونافح وناضل من أجلها حتى رمته الشيعة في اليمن عن قوس واحدة [٣] .

■ بالشعر والنثر والتصنيف وغيره .

■ حتى ملَّ الحياة معهم واعتزل الناس بعد أن صنف كتابه القيم « العواصم والقواصم في الذَّب عن سُنَّة أبي القاسم » .

■ وصنف حينها كتاباً في « العزلة » .

وأنشد يقول هذه الأبيات : وهو على قمة جبل عال يقال له (قلة بني مسلم » ـ جبل سحمَّر) :

فحيينا بطود تمطر السحب دونه	أشم منيف بالغمام مؤزر
وحيينا بشعب بطن وادٍ كأنه	حشا فلم تمس به الطير تصفر
إذا التقت الساري به نحوقلة	توهمها من طولها تتأخر
أجاور في أرجائه البوم والقطا	فجيرتها للمرء أولي وأجدر

(١) كذا يسمي وإلا فليس لزيد بن علي مذهب خاص كما يتبين لك ذلك من دراسة ترجمته وانظر رسالة شيخنا « المذهب الزيدي مبنى على الهيام » وهي مطبوعة ضمن « قمع المعاند » وانظر توضيح النبأ (ص ١٢٤-١٢٥) .

(٢) قال في « العواصم والقواصم » (١ / ٢٠٢) : « فرجعت إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وقلت :! لابد أن تكون فيهما براهين وردود على مخالفي الإسلام ، وتعاليم وإرشاد لمن اتبع الرسول ﷺ ، فتدبرت ذلك فوجدت الشفاء كله دقه وجله وانشرح صدري ، وصلح أمري وزال ما كنت به مبتلى » .

(٣) قال في « الروض الباسم » (١ / ١٣) : « هذا وأني لما تمسكت بعروة السُنن الوثيقة ، وسلكت سُنن الطريقة العتيقة ، تناولتني الألسنة البذية من أعداء السُنَّة النبوية ونسبوني إلى دعوى في العلم كبيرة ، وأمور غير ذلك كثيرة حرصاً على ألا يُتَّبع ما دعوت إليه من العمل بسُنَّة سيد المرسلين ، والخلفاء الراشدين والسلف الصالحين فصبرت على الأذى وعلمت أن الناس مازلوا هكذا :

« ماسلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا » .

فـإن يبـسـت ثـم المواعى وأجـدبت ... فـروض العـلا والعلـم والدين أخـضـر
ولا عـار أن ينجـو كـريم بنفـسـه [١] ... ولـكن عــاراً عــجــزه حين ينـصـر
فقـد هاجر المختـار قبلي وصحـبه ... وفـر إلي أرض النجـاشي جـعفـر [٢]

■ وفي القرن الحادي عشر ظهر العلامة الإمام : محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى سُنَّة (١١٨٢) هـ صاحب « سبل السلام » [٣] .

■ فأظهر السُّنَّة ودعا إليها بالتصنيف والنظم والنثر واللسان .

■ فعودي أيما معادة واجتمعت عليه القبائل [٤] من برط وعنس وغيرهما وهدد بالقتل [٥] إلى غير ذلك من المعادات لا لذاته فحسب بل للسُّنَّة المحمدية التي يحملها ويدعو إليها [٦] .

■ وفي نفس زمنه ظهر أيضاً العلامة الحسين بن مهدي النعمي المتوفي سنة (١١٧٨) صاحب كتاب « معارج الألباب في مناهج الحق والصواب » [٧] .

---

(١) تأمل ـ وفقك الله ـ في هذا الشطر جيداً . (٢) **انظر** : « الروض الباسم » (١ / ١٦) .

(٣) **انظر** : ترجمته في « البدر الطالع » ص (٢ / ١٣٣) و« هجر العلم » للأكوع .

(٤) **قال الإمام الشوكاني في** « البدر الطالع » (٢ / ١٣٣) : وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن » ثم ذكر بعضا منها .

(٥) **قال الإمام الشوكاني** : واتفق في بعض الجمع أنه لم يذكر الأئمة الذين جرت العادة بذكرهم في الخطبة الأخرى فثار عليه جماعة من آل الإمام الذين لا أنس لهم بالعلم وعضدهم جماعة من العوام ، وتواعدوا فيما بينهم على قتله في المنبر يوم الجمعة المقبلة » ثم ذكر أنهم سجنوا قبل تحقيق هدفهم هذا – البائر .

(٦) **قال الإمام الشوكاني** : من جملة ما اتفق لصاحب الترجمة من الامتحانات أنه لما شاع في العامة ما شاع عنه بلغ ذلك أهل برط وهم إذ ذاك جمرة اليمن الذين لا يقوم لهم قائم فاجتمع أكابرهم وخرجوا على الإمام المهدي في جيوش عظيمة ، ووصلت منهم الكتب أنهم خارجون لنصرة المذهب ، وأن – محمد بن إسماعيل – قد كاد يهدمه وأن الإمام مساعد له على ذلك فترسل عليهم العلماء الذين لهم خبرة بالحق وأهله ورتبة في العلم فما أفاد ذلك وآخر الأمر جعل الإمام زيادة في مقرراتهم قيل : إنها نحو عشرين ألف قرش في كل عام ، فعادوا إلى ديارهم وتركوا الخروج لأنهم لامطمع لهم في غير الدنيا ولا يعرفون من الدين إلا رسوماً ، بل يخالفون ماهو من القطعيات كقطع ميراث النساء والتحاكم الي الطاغوت واستحلال الدماء والأموال ، وليس من الدين في ورد ولا صدر .

(٧) **انظر** : ترجمته في « نشر العرف » (١ / ٢١٧) وهجر العلم « ومعاقله » (٢ / ٦٣٩) .

- وعودي كذلك نحو معاداتهما لسابقيه .
- وقبلهما ـ أعني قبل الصنعاني والنعمي ـ ظهر العلامة صالح بن مهدي المقبلي .
- وأظهر التمسك بالسُّنَّة وندد بالتقليد وأهله ، وصنف في ذلك كتابه « العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ » وعمل عليه حاشية سماها « الأرواح النواقح » . ومع ذلك فإنه لم يسلم من التشيع والإعتزال [١] .

وقد عودي أيضاً أيما معاداة بسبب نصرته للحق في غالب أمره ، ومن ذلك قوله مدافعاً عن الصحابة رضي الله عنهم :

قبح الإله مفرقاً	بين القرابة والصحابة
من كان ذلك دينه	فهو السفيه بلا استرابة
الجمع بين ولائهم	يا طالباً عين الإصابة
ما إن قرنت به الدعاء	إلا توقعت الإجابة
إذ كان ذا في عصرنا	متجاوزاً حد الغرابة

فقام عليه بعض شيعة اليمن من الجارودية وردوا عليه وآذوه فمما ردّوا عليه قول بعضهم :

أطرق كري يامقبلي	فلأنت أحقر من ذبابه

وهجاه الهبل فقال :

المقبلي ناصبي	أعمي الشقاء بصره
فرق ما بين النَّبي	وأخيه حيدره
لاتعجبوا من بغضه	للعترة المطهرة
فأمه معرفة	لكن أباه نكره

[١] قال شيخنا مقبل ـ رحمه الله ـ في القدر (ص ٦) : وما تخلص من التشيع والإعتزال .

ومما آذوه به أن أوغرو صدر الإمام المتوكل على الله ، عليه وكان ذلك سبب خروجه من اليمن وإقامته في مكة [١] .

■ ثم استمر الحال إلى القرن الثاني عشر، وظهر الإمام المجتهد محمد بن علي الشوكاني المتوفي سنة (١٢٥٠) هـ .

■ فأظهر السُّنَّة ودعا إليها وصنف في تبيينها والذَّب عنها وندد بالبدع وأهلها.

وصنف في تبيين طريقة أهل الحق في الأسماء والصفات كتابه « التحف » وفي الذب عن الصحابة «إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النَّبي ﷺ »، ونيل بالأذى وهدد بالقتل وهو صامد في وجه التشيع وأهله ، صمود الجبال وثابت ثبوت الأوتاد. ولو قرأت ما ذكره في «أدب الطلب ومنتهى الإرب » [٢] . لرأيت ما يدهشك من تنكر الشيعة لسُّنَّة رسول الله ﷺ وللدعاة إليها .

■ ونشأ على يدي الشوكاني جماعة من أهل العلم والفضل والتمسك ، ولكنهم لم يبذلوا ما بذله فلم يتلقوا ما تلقاه .

■ واستمر الأمر في اليمن وهو تحت وطأة الشيعة في جانب والصوفية في جانب آخر .

■ حتى قيض الله في القرن الرابع عشر الهجري ذلك الإمام والعلم الهمام، المحدث المفسر الفقيه، نادرة العصر القوال بالحق ، والنهاء عن المنكر الذي لايخاف في الله لومة لائم الصائن المعظم لحرمات دين الله شيخنا أبا عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي المتوفي سنة ١٤٢٢ هـ ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ .

فرجع إلى اليمن في وقت قد اشرأبت قلوب كثير من أهلها بالبدع ، عليها نشأ الصغير وهرم الكبير مع ظنهم المتيقن عندهم أن ذلك هو الحق وسواه الباطل المحض.

---

(١) **انظر** : « البدر الطالع » (١ /٢٨٨) و « بهجة الزمن » و « نشر العرف » (١ / ٧٨١) و « هجر العلم ومعاقله » (١ / ٢٧٠) .

(٢) **انظر** : « أدب الطلب » (ص ٩٨) ومابعدها ! ، وانظر ترجمته في « هجر العلم ومعاقله » (٤ / ٢٢٥١) وقد صنف في الترجمة له عدة تصانيف .

فمن كثرة المنكرات التي شاهدها قال كما في شريط « الأسئلة الحديدية »:

كان أخ نجدي يقال له الشيخ « صالح » لا يدع منكراً إلا أنكره فقلت : كيف لو يأتي إلى اليمن ؟ لا يدري بماذا يبدأ .

أي لكثرة ما فيها من المنكرات والمخالفات للسُنن ، فتصدَّى لذلك الباطل كله « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »وألزم نفسه من البداية الحق والسير عليه .

فقال في « المخرج من الفتنة » ص ٨٩ : « ألزمنا أنفسنا ألا نرتكب محرماً ولا نترك واجباً ولا نرتكب بدعة من أجل مصلحة الدعوة » .

وقد قوبل بالهجوم الشديد باللسان والقوة والكتابة في الطعن في شخصه – رحمه الله – ، والإعلان والدعاية الكاذبة عليه، وعلى مايدعو إليه، ومما وصلنا من تلك الدعاية ونحن صغار قالوا « خرج رجل في دماج يريد أن يغير الدين » هكذا !!! وقد عودى أشد المعاداة من قبل الشيعة في اليمن من أول يوم خرج إلى اليمن ويقول الشيخ – مبيناً شدة تلك العدواة – كما في غارة الأشرطة (١ / ٤٧٢) : « لو أتى رئيس إسرائيل – واستطيع أن أقسم بالله على هذا المنبر وأنا اعتقد ما أقول – ووعدهم بالقضاء على أهل السُّنَّة لقالوا : نعم » .

ومن شدة عتوهم وتكشيرهم في وجه السُّنَّة وأهلها ؛ أنهم يرون قتل السُنِّي قربة ومن أحاديثهم « من قتل وهابياً دخل الجنة » ويرون أن من وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة أن صلاته باطلة، ومن أمَّن بعد الفاتحة بطلت صلاته وصلاة من حوله [١] .

---

(١) قال شيخنا – رحمه الله – كنت أصلي فيصطف أهل بلدي عن يساري ولا يصلي عن يميني أحد، فقلت لهم: لِمَ ؟ قالوا صلاتك يامقبل باطلة أنت ومن عن يمينك ... الخ .

وربما تركوا الصلاة خلفه وانصرفوا ولذا قال عبد الله الإرياني المتوفي سنة (١٣٨٥) هـ :

نزلنا بصعدة في يوم قر ... فلا راقت ولا طابت مقاما
وشاهدنا بساحتها أناسا ... جفاة لا يردون السلاما
وإن صلى بجانبهم غريب ... تنحوا عنه واعتزلوا الإماما

وانظر : توضيح النبأ ص ١١٠ .

ومن كان مزوجاً لأحد من أهل السُّنَّة وجب عليه أخذ قريبته فإنها لاتحل للوهابي [١] .

وغير ذلك كثير مما بثوه ونشروه في وجه سُّنَّة رسول الله ﷺ وحملتها وعلى رأسهم الشيخ مقبل – رحمه الله – .

واستطاع بتوفيق الله له وبحزمه وشجاعته وعلمه وإخلاصه ؛ أن يقف في وجوه أهل البدع من الشيعة والصوفية والحزبيين كافة وأن يدعو إلى السُّنَّة بكل تجلد وصبر ، بالدعوة والتدريس والتأليف .

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ثم جعلت السُّنَّة تنتشر في أوساط الناس شيئاً فشيئاً وجعل الناس يلتفون حول هذا الشيخ المبارك في مسجده الصغير .

■ وهكذا استمر الحال من دعوة وتدريس وتأليف وحث للناس على تحصيل العلم والعمل بالسنن .

■ حتى تجمع الطلبة من كل قطر ومصر من اليمن وخارجها ، و اشتد ساعد دعوة أهل السُّنَّة وحطم قيود الشرك والبدعة ودكها دكاً ، ونبقي مع كلام الشيخ نفسه ليبين لنا ذلك،حيث قال رحمه الله في مقدمة « الجامع الصحيح في القدر » (ص ٦ ـ ٧) : « ولم يزل اضطهادهم ـ يعني :الشيعة ـ لأهل السُّنَّة إلى عصرنا هذا.

■ ثم شاء الله أن يطهر يمننا من بدعة التشيع المبتدع .

■ ووفق بعض طلبة العلم [٢] لدراسة كتب السُّنَّة ، والعكوف عليها .

■ ووفقهم – ولله الحمد والمنة – للدعوة إلى سُّنَّة رسول الله ﷺ فأنقشعت

---

(١) بهذا أفتى كبارهم .

(٢) كذا يقول الشيخ تواضعاً منه وإلا فهو محيي هذه الدعوة في اليمن وإمامها – عليه رحمة الله – .

ظلمات التشيع [١] .

وأصبح التشيع ينحصر شيئاً فشيئاً ، وصدق الله إذ يقول :

■ ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)** ﴾ [الإسراء : ٨١] .

■ ويقول ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)** ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

■ ويقول سبحانه وتعالي : ﴿ **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ** ﴾ [الرعد : ١٧] .

■ ويقول سبحانه : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ** ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥] .

■ وعندما عجز القوم عن مواجهة السُّنَّة ، ولم يستطيعوا الوقوف أمام سُّنَّة رسول الله ﷺ ، استوردوا كتب الزيغ والضلال كتب الرافضة من إيران ولبنان .

■ بل استوردوا كتب الكفر والإلحاد ، ليصدوا الناس عن سُّنَّة رسول الله ﷺ .

■ ومن كان يظن أن كتاب « الكافي » للكليني يدخل اليمن ويباع بالأسواق، وفيه الكفر البواح .

■ ولو كان أئمة الزيدية أحياء ما أذنوا لمثل هذا الكتاب الزائغ أن يدخل إلى اليمن.

■ الله أكبر!،كتب الرفض تباع وتستورد إلى بلدنا المسلمة التي أثنى رسول الله

---

(١) كذا قال شيخنا رحمه الله وليس معنى هذا أنه لم يبق شيء من التشيع وإنما انقشعت هيمنتهم على الناس وَبَارَ – أمرهم ، وإلا فمازال هناك أناس من الشيعة شبه أموات ، وإيـران تدعمهم لتقيمهم ﴿ **وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠)** ﴾ [البروج : ٢٠] .

ﷺ عليها وعلى أهلها بقوله : « **الإيمان يمان ، والحكمة يمانيه ، والفقه يمان** » .

وأخبر أن أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً [(١)] .

■ ألا وإن دخول مثل هذه الكتب الزائفة إلى اليمن يعتبر جناية علي الدين ومحادة لله رب العالمين .

■ وأما الأمة الحمقى التي استوردت هذه الكتب لتدفع بها سُنَّة رسول الله ﷺ .

فإن أهل السُّنَّة إذا قاموا بما أوجب الله عليهم من البيان والدعوة فإن الأمر سينعكس وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ** ﴾ [فاطر : ٤٣] . وعلى نفسها براقش تجني [(٢)] .

■ فإن الأمة الإسلامية إذا علمت ما في هذه الكتب من الكفر والضلال ، تنفر منها وممن ألفها وممن استوردها ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

■ هذا ولما كانت سُنَّة رسول الله ﷺ قد شقت طريقها .

■ وهزم التشيع أمامها هزيمة منكرة .

■ أصبح المتشيعون يخجلون أن يبوحوا باعتقادهم الرديء : من سب الصحابة ، والتمسح بأتربة الموتى .

■ **ومن الفتاوي الزائفة التي كانوا يفتون بها :** أن من وضع يده اليمنى على

---

(١) **وانظر** : بقية الأحاديث في فضائل اليمن مع تخريجها في « رياض الجنة » (١١٣ – ١١٧) و« مقدمة صعقة الزلزال » كلاهما لشيخنا وللإمام الشوكاني في ذلك رسالة مفرده سماها « **القول الحسن في فضائل أهل اليمن** » ، وهي مطبوعة .

(٢) المثال كما في « مجمع الأمثال » للميداني رقم (٢٤٢٧) : « على أهلها تجني براقش » قال كانت براقش كلبة لقوم من العرب فأغير عليهم فهربوا ومعهم براقش فاتبع القوم آثارهم بنباح براقش فهجموا عليهم قال حمزة بن بيض :

لم تكن جناية لحقتني ... لا يساري ولا يميني رمتني
بل جناها أخ على كريم ... وعلى أهلها براقش تجني أهـ

ثم ذكر غير هذا السبب في هذا المثال يراجع من هناك .

يده اليسرى في الصلاة ،أو قال: آمين بعد قراءة الفاتحة في الصلاة فصلاته باطلة.

■ ولا تسأل عن جرأتهم وقلة حيائهم في الفتاوى .

■ خطب بعض إخواننا خطبة يحذر من التقليد .

■ فاستنكر جماعة ماقال لأنهم عوام جاهلون.

■ فقال – حفظه الله – هذه الخطبة مكتوبة واسألوا عنها .

■ فذهبوا إلى عالمهم الذي يلقبونه بكرسي الزيدية .

■ فلما قرأ عليه أول الخطبة إلى أن وصلوا إلى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** (١٠٢)﴾ [آل عمران:١٠٢] .

■ قال : يكفي هذا ؛ يكفِّركم ويُكفِّر أباءكم لاتصلوا معه .

■ فعلى قول هذا المفتي الجاهل ، النَّبي ﷺ كان يُكِّفر الصحابة .

■ ولا تصح الصلاة معه ، لأنه كان يقولها في خطبته : أين أنت أيها المفتون الأعمى المفتري على الله من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ .

■ فهو يثبت لهم الإيمان .

■ ثم قوله في آخر الآية : ﴿**وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ ، أي اثبتوا على الإسلام .

■ ولو كان المطلوب إسلامهم لما صدر الله تعالى الآية بتحليتهم بالايمان ، ولقال في آخرها « أسلموا » .

■ هذه بعض تلبيسات من لا يَسْتَحْيِ ولا يخاف من الله ولا يبالي بدينه .

■ وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: « **إذا لم تستحِ فاصنع ماشئت** » [١] ا . هـ.

■ وهكذا يُقيض الله لكل بدعة من يردها من أهل الحق والسُّنَّة والاستقامة ، وذلك على مر التاريخ .

■ وأبقيك مع فصل « الصراع بين الحق وأهل الابتداع » .

---

(١) في « البخاري » (٣٤٨٣) عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الصراع بين الحق وأهل الابتداع

■ إن الله سبحانه وتعالى قدجعل الصراع بين الحق والباطل مستمراً ، منذ خلق آدم إلى قيام الساعة .

■ فما ترى صاحب باطل يظهر وإلا ويقيض الله له من يرد باطله ويدحض بدعته .

■ وهذا واجب على كل من أنار الله قلبه بالسُّنَّة وحُسن الاتباع ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في « مجموع الفتاوى » (٢٨ / ٢٣١ – ٢٣٢) « وإذا كان النصح واجباً في المصالح الدينية الخاصة والعامة .

■ مثل نقلة الحديث الذين يغلطون ، أو يكذبون ...

■ ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسُّنَّة ، أو العبادات المخالفة للكتاب والسُّنَّة ، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين .

■ حتى قيل لأحمد : الرجل يصوم ويصلي ، ويعتكف أحب إليك أو يتكلم فى أهل البدع ؟ ، فقال : إذا قام وصلى واعكتف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع ، فإنما هو للمسلمين وهذا أفضل .

■ فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله [١] ، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على الدين واجب على الكفاية باتفاق المسلمين .

■ ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين .

■ وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب .

---

(١) بل قال شيخ الإسلام كما في « مجموع الفتاوى » (٤ / ١٣) : « الراد على أهل البدع مجاهد حتى كان يحيى بن يحيى يقول : « الذَّب عن السُّنَّة أفضل من الجهاد » .

■ فإن هؤلاء اذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها إلا تبعاً ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً .

« وللحافظ ابن القيم مبحث استقرائي تاريخي منذ البعثة حتى عصره – القرن الثامن الهجري – يعطي تصوراً دقيقاً ونفيساً عن هذه المحن التي مرت بالمسلمين ، ومقامات الرد عليها[١] » ، يقول – رحمه الله تعالى –[٢] :

(ونحن نسوق لك الأمر من أوله إلى أن يصل إليك بعون الله فنقول :

لما أظلمت الأرض وبعد عهدها بنور الوحي فكانوا كما قال النَّبي ﷺ فيما يرويه عن ربه – عز وجل– أنه قال : « **إني خلقت عبادي حنفاء ؛ وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**[٣] **وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب** » فكان أهل العقل كلهم في مقته إلا بقايا متمسكين بالوحي . فلم يستفيدوا بعقولهم حين فقدوا نور الوحي إلا عبادة الأوثان والصلبان والنيران والكواكب والشمس والقمر والحيرة والشك،أو السحر، أو تعطيل الصانع والكفر به، فأطلع الله شمس الرسالة في تلك الظلمة سراجاً منيراً ، وأنعم بها على أهل الأرض في عقولهم وقلوبهم ومعاشهم ومعادهم ، نعمة لايستطيعون لها شكوراً ؛ فأبصروا بنور الوحي مالم يكونوا بعقولهم يبصرونه ، ورأوا في ضوء الرسالة ما لم يكونوا يرونه ، فكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا**

---

(١) **انظر** : الرد على المخالف ، ص ٣١ .

(٢) « الصواعق المرسلة» : (١/ ١٤٧ – ١٥١) . وانظر: « « الإغاثة » له : (٢/ ٢٦٩). و« تهذيب السُنن » له : (٧/ ٦١ – ٦٢) و « السير» للذهبي : (١١/ ٢٣٦) . و« منهاج السُّنَّة النبوية » : (٦/ ٢٣٠ – ٢٣٢) .

(٣) قال في التهذيب : يقال للقوم إذا تركوا القصد والهدى اجتالهم الشيطان . وقال الصاغاني : ومنه الحديث القدسي : « إني خلقت عبادي ... إلخ » أي استخفتهم فجالوا معها في الضلالة ، وقال الصاغاني : أي ذهبوا بهم وساقوهم . أ هـ . تاج العروس .

أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ **الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [إبراهيم : ١] .

وقال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

فمضى الرعيل الأول وضوء ذلك النور لم تطفئه عواصف الأهواء ، ولم يلتبس بظُلَمِ الآراء ، وأوصوا من بعدهم ألا يفارقوا ذلك النور الذي اقتبسوه منهم ، فلما كان في أواخر عصرهم حدثت الشيعة والخوارج والقدرية والمرجئة ، فبعدوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأمة ومع هذا فلم يفارقوه بالكلية،بل كانوا للنصوص معظمين وبها مستدلين، ولها على الآراء والعقول مقدمين ،ولم يدع أحد منهم أن عنده عقليات تعارض الوحي والنصوص ، وإنما أتُوا من سوء الفهم فيها . فصاح بهم من أدركهم من الصحابة وكبار التابعين من كل قطر ، ورموهم بالعظائم ؛ وتبرءوا منهم وحذروا من سبيلهم أشد التحذير ، وكانوا لايرون السلام عليهم ومجالستهم .

ولما كثرت الجهمية في آخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي، ومع هذا فكانوا قليلين أذلاَّء مذمومين، وأولهم شيخهم الجعد بن درهم ، وإنما نفق عند الناس لأنه كان معلم مروان بن محمد وشيخه ، ولهذا يسمى مروان الجعد . وعلى رأسه سلب الله بني أمية الملك والخلافة وشتتهم في البلاد ومزقهم كل ممزق ببركة شيخ المعطلة النفاة .

ولما اشتهر أمره في المسلمين طلبه خالد بن عبد الله القسري – وكان أميراً على

العراق – حتى ظفر به فخطب الناس في يوم الأضحى ، وكان آخر ما قال في خطبته : أيها الناس ضحوا ، تقبل الله ضحاياكم ؛ فإني مضح بالجعد بن درهم ، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ـ تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ـ ثم نزل فذبحه في أصل المنبر ، وكان ضحيته ، ثم طفئت تلك البدعة والناس إذ ذاك عنق واحد [١] : « أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ، موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال ، وأنه كلم عبده ورسوله موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكاً هشيماً » .

إلى أن جاء أول المئة الثالثة وولي على الناس عبد الله المأمون ، وكان يحب أنواع العلوم ، وكان مجلسه عامراً بأنواع المتكلمين في العلوم ، فغلب عليه حب المعقولات ، فأمر بتعبير [٢] كتب يونان ؛ وأقدم لها المترجمين من البلاد ، فترجمت له وعبرت ، فاشتغل بها الناس ، والملك سوق ما ينفق فيه جلب إليه ؛ فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أخوه الأمين قد أقصاهم وتتبعهم بالحبس والقتل ؛ فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه فقبلها واستحسنها ودعا الناس إليها وعاقبهم عليها . فلم تطل مدته ، فصار الأمر بعده إلى المعتصم – وهو الذي ضرب أحمد بن حنبل – فقام بالدعوة بعده ، والجهمية تصوب فعله وتدعو إليه؛ وتخبره أن ذلك هو تنزيه الرب عن التشبيه والتجسيم. وهم الذين غلبوا على مجلسه وقربه، والقضاة والولاة منهم، فإنهم تبع لملوكهم ، ومع هذا فلم يكونوا يتجاسرون على إلغاء النصوص وتقديم العقول والآراء .

فإن الإسلام كان في ظهور وقوة ، وسوق الحديث نافقة ، وأعلام السُّنَّة على ظهر الأرض . ولكن كانوا على ذلك يحومون ، وحوله يدندنون ، وأخذوا الناس بالرغبة والرهبة ؛ فمن بين أعمى مستجيب ؛ ومن بين مكره مفتد بنفسه منهم بإعطاء ما سألوه ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، وثبَّت الله أقواماً جعل قلوبهم في نصر

---

(١) العنق : الجماعة من الناس ومراده مجمعين على أمر واحد .

(٢) أي بترجمتها ونقلها إلى العربية .

دينه أقوي من الصخر ، وأشد من الحديد ، فأقامهم لنصر دينه ، وجعلهم أئمة يقتدي بهم المؤمنون لما صبروا وكانوا بآياته يوقنون . فإنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين . قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** (٢٤) ﴾ [السجدة : ٢٤] فصبروا من الجهمية على الأذي الشديد، ولم يتركوا سُنَّة رسول الله ﷺ – لما رغبوهم به من الوعد ، ولا لما أرعبوهم به من الوعيد ، ثم أطفأ الله برحمته تلك الفتنة وأخمد تلك الكلمة ، ونصر السُّنَّة نصراً عزيزاً ؛ وفتح لأهلها فتحاً مبيناً ؛ حتى صرخ بها على رؤوس المنابر ودعى إليها في كل باد وحاضر ، وصنف في ذلك الزمان في السُّنَّة ما لايحصيه إلا الله .

ثم انقرض ذلك العصر وأهله ، وقام بعدهم ذريتهم يدعون إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله على بصيرة إلى أن جاء ما لا قبل لأحد به وهم جنود إبليس حقاً ، المعارضون لما جاءت به الرسل بعقولهم وآرائهم ، وهم القرامطة والباطنية والملاحدة ؛ ودعوهم إلى العقل المجرد ؛ وأن أمور الرسل تعارض المعقول ؛ فهم القائمون بهذه الطريقة حق القيام بالقول والفعل ؛ فجرى على الإسلام وأهله منهم ما جرى ، وكسروا عسكر الخليفة مراراً عديدة ، وقتلوا الحاج قتلاً ذريعاً ، وانتهوا إلى مكة فقتلوا بها من وصل من الحاج إليها ، وقلعوا الحجر الأسود من مكانه ، وقويت شوكتهم واستفحل أمرهم وعظمت بهم الرزية واشتدت بهم البلية .

وأصل طريقهم : أن الذي أخبرت به الرسل قد عارضه العقل ؛ وإذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل . وفي زمانهم استولى الكفار على كثير من بلاد الإسلام بالمشرق والمغرب ، وكاد الإسلام أن ينهدم ركنه لولا دفاع الذي ضمن حفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ثم خمدت دعوة هؤلاء في المشرق، وظهرت من المغرب قليلاً قليلاً ، حتى استفحلت وتمكنت واستولى أهلها على كثير من بلاد المغرب ، ثم أخذوا يطأون البلاد حتى وصلوا إلى بلاد مصر

فملكوها وبنوا بها القاهرة ؛ وأقاموا علي هذه الدعوة مصرحين بها ، هم ، وولاتهم ، وقضاتهم ، وفي زمانهم صنفت رسائل إخوان الصفا ، والإشارات ، والشفا [١] وكتب ابن سينا ؛ فإنه قال : كان أبي من أهل الدعوة الحاكمية [٢] وعطلت في زمانهم السُّنَّة وكتبها والآثار جملة إلا في الخفية ، وشعار هذه الدعوة :تقديم العقل على الوحي ، واستولوا على بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز، واستولوا على العراق سَنَةً ،وأهل السُّنَّة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين، بل كان لأهل الذمة من الأمان والجاه والعز عندهم ما ليس لأهل السُّنَّة . فكم أغمد من سيوفهم في أعناق العلماء ؛ وكم مات في سجونهم من ورثة الأنبياء ، حتى استنقذ الله الإسلام والمسلمين من أيديهم في أيام نور الدين وابن أخيه صلاح الدين ، فأبلَّ الإسلام من علته ، بعد ما وطن نفسه على العزاء ، وانتعش بعد طول الخمول حتى استبشر أهل الأرض والسماء . وأبدر هلاله بعد أن دخل في المحاق . وثابت إليه روحه بعد أن بلغت التراق ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) ﴾ [القيامة : ٢٧] ، واستنفذ الله بعبده وجنوده بيت المقدس من أيدي عبدة الصليب . وأخذ كل من أنصار الله ورسوله من نصرة دينه بنصيب . وعلت كلمة السُّنَّة وأذن بها على رؤوس الأشهاد ، ونادى المنادي: يا أنصار الله لاتنكلوا عن الجهاد ، فإنه أبلغ الزاد ليوم المعاد .

فعاش الناس في ذلك النور مدة حتى استولت الظلمة على بلاد المشرق ، فقدموا الآراء والعقول والسياسة والأذواق على الوحي ، وظهرت فيهم الفلسفة والمنطق وتوابعهما ، فبعث الله عليهم عباداً أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وعاثوا في القرى والأمصار وكاد الإسلام أن يذهب اسمه وينمحى رسمه ، وكان مثاب هذه الفئة وعالمها الذي يرجع إليه وزعيمها المعول فيها عليه : شيخ شيوخ المعارضين بين الوحي والعقل ، وإمامهم في وقته نصير الشرك والكفر [الطوسي]

(١) الإشارات والشفا لابن سينا .
(٢) نسبة إلى الحاكم أحد خلفاء الفاطميين .

فلم يعلم في عصره أحد عارض بين العقل والنقل معارضة رام بها إبطال النقل بالكلية مثله . فإنه أقام الدعوة الفلسفية ، واتخذ الإشارات عوضاً عن السور والآيات . وقال : هذه عقليات قطعية برهانية قد قابلت تلك النقليات الخطابية ، واستعرض أهل الإسلام وعلماء أهل الإيمان والقرآن والسُّنَّة على السيف ، فلم يبق منهم إلا من قد أعجزه ، قصداً لإبطال الدعوة الإسلامية ؛ وجعل مدارس المسلمين وأوقافهم للنجسية السحرة ، والمنجمين ، والفلاسفة ، والملاحدة والمنطقيين ؛ ورأى إبطال الأذان ، وتحويل الصلاة إلى القطب الشمالي ، فحال بينه وبين ذلك من تكفل بحفظ الإسلام ونصره ، وهذا كله من ثمرة المعارضين بين الوحي والعقل .

ولتكن قصة شيخ هؤلاء القديم [١] منك على ذكر كل وقت ، فإنه أول من عارض بين العقل والنقل ، وقدم العقل ، فكان من أمره ما قص الله ؛ وورث الشيخ تلامذته هذه المعارضة . فلم يزل يجري على الأنبياء وأتباعهم كل محنة وبلية . وأصل كل بلية في العالم كما قال محمد الشهرستاني : « من معارضة النص بالرأي وتقديم الهوى على الشرع » . والناس إلى اليوم في شرور هذه المعارضة . ثم ظهر مع هذا الشيخ المتأخر المعارض أشياء لم تكن تعرف قبله : حسيات العميدي ، وحقائق ابن عربي ، وتشكيكات الرازي ، وقام سوق الفلسفة ، والمنطق ، وعلوم أعداء الرسل.

ثم نظر الله إلى عباده وانتصر لكتابه ودينه ، وأقام جنداً يغزو ملوك هؤلاء بالسيف والسنان ، وجنداً يغزو علماءهم بالحجة والبرهان . ثم نبغت نابغة منهم في رأس القرن السابع فأقام الله لدينه شيخ الإسلام أبا العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه ، فأقام على غزوهم مدة حياته باليد والقلب واللسان ، وكشف للناس باطلهم ، وبين تلبيسهم وتدليسهم ، وقابلهم بصريح المعقول ، وصحيح

---

(١) إبليس لعنه الله .

المنقول ؛ وشفى واشتفى ، وبين تناقضهم ، ومفارقتهم لحكم العقل الذي به يدلون وإليه يدعون ، وإنهم أترك الناس لأحكامه وقضاياه ، فلا وحى ولا عقل ، فأرداهم في حفرهم ، ورشقهم بسهامهم ، وبين أن صحيح معقولاتهم خدم لنصوص الأنبياء ؛ فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً) انتهى .

أما بعد القرن الثامن الهجري : [١]

فمن بعد قيام هذا الجهاد اللساني العظيم ، انتصرت السنن وماتت البدع ، وضعف حملتها ، ثم دب في الأمة « داء استجرار » تلك الأدواء فنشبت في كل مصر ، وأصبحت في القرون التاسع ، والعاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر : رائجة ، والمواقف سجال بين المهتدين والضالين ، حتى قامت في قلب الجزيرة العربية : دعوة التوحيد ، والرد على المعاندين ومجادلتهم ، ومراسلتهم من شتى الأقطار . وأهل البدع عاضون على أهوائهم حتى أذعنوا للحق ، وانتشرت دعوة التوحيد على يد بُناتها فى الأقطار . يدلون من ضل إلى الهدى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى . وفى القرن الرابع عشر ، شاهد أحداثاً سياسية مهولة وفشت المذاهب المادية : شيوعية ، وجودية ، ماسونية ، اشتراكية . والمذاهب العرقية والعصبية : البعثية ، القومية النصرانية « العربية » ، الرياضية ...

فعقد العلماء لهم مجالس المناظرة ، وألقوا في الرد عليهم كتباً متكاثرة حتى أزاحوا شرهم عن بلاد المسلمين . وهكذا مما هو مشاهد منظور ، مستمر في حياة أهل السُّنَّة إعلاءً لكلمة الحق ، وإزهاقاً للباطل .

ولو أخذنا نذكر ما لهم في ذلك من مآثر ، وآثار ، في مؤلفات حافلة ، وسير زاكية ، ومناظرات صادقة ، ومواقف مشرفة ، لكان أمراً لا يبلغ منتهاه وحسبك أن أسماء الكتب التي فيها الرد علي البدع والضلالات والأخطاء ، والمخالفات ، تبلغ مجلداً كبيراً ، بل مجلدات [٢]) .

---

(١) « الرد علي المخالف » ص (٣٧ – ٣٨) .

(٢) « التراتيب الإدارية » .

تفصيل مجمل ما تقدم

وأحب أن أوقفك بعد هذا الإجمال في باب الصراع بين الحق وأهل الإبتداع على تفصيل ذلك إلى عصرنا اليوم .

قال الإمام أبو شامة في « كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث » ص ٥٣ :

قد حذر النَّبي ﷺ وأصحابه فمَن بعدهم أهل زمانهم :

- البدع ومحدثات الأمور .
- وأمروهم بالاتباع « الذي فيه النجاة من كل محذور » ا هـ .

[١] فلما حدثت الردة بعد موت رسول الله ﷺ قيض الله لها أبا بكر الصديق ، وعضده الله بعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

[٢] ولما ظهرت نزعات الإبتداع الأولى في عهد عمر رضي الله عنه مثل الكلام في القدر [١] ، والاحتجاج على المعاصي ، ومتشابه القرآن قيض الله لها عمر بن الخطاب فأقام معوجها بدرته المشهورة فأدب صبيغاً [٢] لخوضه في الآيات المتشابهات ، وقطع شجرة الحديبية لقطع دابر البدع ، ونهى الذين كانوا يرتادون مواطن محددة للتعبد عندها مما لم يرد به الشرع .

[٣] وقطع عثمان – رضي الله عنه – دابر الإختلاف حول القرآن بجمعه وتدوينه .

[٤] وظهرت الشيعة الروافض فقيض الله لهم علي بن أبي طالب وحرق جماعة منهم بالنار ، وأمر بجلد من فَضَّلَهُ على أبي بكر وعمر حد المفتري .

---

(١) **انظر** : « السُنَّة » لعبد الله بن أحمد (٩٢٩) والصارم المسلول (٢ / ٤٣٣) تحقيق محمد الحلواني و« شفاء العليل » (ص ١٤٨) آخر الباب (١٤) .

(٢) هو صبيغ بن عسل ... كان يتكلم في القدر ، فضربه عمر رضي الله عنه بعراجين النخل ثم نفاه إلى البصرة حتى تاب .

ومنع القصاص حينما أخذوا يحدثون بالحكايات وما لا أصل له خوف الفتنة ، والقول على الله بغير علم .

[٥] وظهرت بدعة التسبيح بالحصى ، فقيض الله ابن مسعود فخطبهم وأذهب بدعتهم .

[٦] ولما ظهرت الخوارج قيض الله لها أيضاً علي بن أبي طالب – وابن عباس وسائر الصحابة فأقاموا عليهم الحجة وبينوا لهم المحجة، حتى رجع منهم من رجع، وأصرَّ منهم من أصر فقاتل علي بن أبي طالب ﷺ ومعه جند الله ورسوله ﷺ الصحابة ﷺ المُصِرين منهم ، امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ وقمعاً لبدعتهم .

- وهذا كله وقع في نصف القرن الأول الهجري .

[٧] ولما ظهرت القدرية في النصف الثاني من القرن الأول تصدى لها المتأخرون من الصحابة : كعبد الله بن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع وغيرهم –ﷺ – .

- وكان أشدهم إنكاراً لها ووقوفاً في وجهها وتبيين عوارها ابن عمر ﷺ ، فقد حذر من معبد الجهني رأس القدرية ومن بدعته،ونهى عن مجالسته.

[٨] ولما ظهر غيلان الثقفي فأحيا بدعة القول بالقدر تصدى له ولبدعته مجاهد ابن جبر والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز والإمام الأوزاعي ، فتراجع ثم عاود بدعته فقتله هشام بن عبد الملك .

[٩] ولما ظهر رأس الجهمية « الجعد بن ودرهم » وأعلن بدعته ودعى إليها وقف في وجهه وفي وجه بدعته الإمام الأوزاعي والزهري محمد بن مسلم ، وخالد بن عبد الله القسري [١] وضحى به يوم عيد الأضحى .

(١) القسري كان مأموراً بذلك كما في « البداية والنهاية » أ هـ علقه الشيخ يحيى حفظه الله أثناء قراءته لهذا البحث .

[١٠] ولما اعتزلت المعتزلة وأظهرت بدعتها بقيادة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، قيض الله لهم من أئمة التابعين وأتباعهم ، الحسن البصري وأيوب السختياني وابن عون وثابت البناني وابن سيرين .

■ وحماد بن زيد ومالك بن أنس وابن المبارك .

[١١] ولما كثرت الرافضة قيض لهم مثل الشعبي والشافعي وعبد الله بن إدريس الأودي وأمثالهم .

[١٢] ولما عاودت الجهمية الظهور على يدي الجهم بن صفوان تصدى لها أئمة السلف ، على رأسهم الزهري ومالك وابن المبارك وأمثالهم .

[١٣] ثم ظهر بشر المريسي رأس الجهمية في زمانه، فقيض الله له عثمان بن سعيد الدرامي والشافعي والكناني وغيرهم .

[١٤] ولما احتشدت حشود الأهواء في زمن المأمون العباسي ، وقامت قوائم الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم ، وعلى رأسهم ابن أبي دؤاد وجمعوا الناس على قولهم بالمال ومن لم يجب فبالقوة ، فقيض ذلك الإمام ناصر السُّنَّة وقامع البدعة أحمد بن محمد بن حنبل ، فوقف في وجوههم وقفة لم يشهد التاريخ مثلها ، وصرع بدعهم وصدع بالحق فنصره الله ، وهزم فلول المبتدعة ولم تقم لهم قائمة بعدها .

[١٥] ولما تجمعت الجهمية المعتزلة في آخر القرن الثالث ، قيض لهم أبا الحسن الأشعري وكان بهم خبيراً لأنه كان معتزلياً ثم هداه الله إلى السُّنَّة فقمعهم وكسرهم . وكذا قام بالرد عليهم الإمام البخاري وابن أبي حاتم وعبد الله ابن أحمد وأبو داود السجستياني وأمثالهم .

[١٦] ولما نبغ مواليد التجهم والاعتزال من أهل الكلام ومن جرى مجراهم، تصدَّيُ لهم أئمة السلف في القرن الرابع والخامس كالبربهاري وابن خزيمة

وابن بطة ، والهروي واللالكائي وابن منده والملطي والصابوني والآجري وابن وضاح والبغوي وابن عبد البر وأمثالهم .

[١٧] وفي القرن السادس والسابع والثامن : عمت البلوى بالبدع والأهواء، وهيمنت البدع على كثير من بلاد الإسلام والتمذهب والتقليد واستحكمت الصوفية ببدعها ، وساد الكلام والفلسفة ، وتسلط الكفار على كثير من بلاد المسلمين وغيرها فقيض الله أمثال : الشاطبي وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم وابن عبد الهادي وابن كثير والذهبي وغيرهم .

فتصدوا بقيادة شيخ الإسلام لجحافل البدع وعساكر الضلالة ، وجاهدوا بألسنتهم وأقلامهم وأيديهم ، وصنف شيخهم شيخ الإسلام في الرد على النصاري ، والصابئة ، والزنادقة ، وأهل الألحاد ، والباطنية ، والرافضة ، والصوفية والفلاسفة ، والمعتزلة ، والجهمية ، والأشاعرة .

■ وفي القرن الثامن تصدى للبدع في اليمن العلامة محمد بن إبراهيم الوزير وصنف جملة كتب في الرد عليهم مثل « العواصم والقواصم » و « إيثار الحق على الخلق » .

■ وفي العصور المتأخرة انتشرت الشركيات والبدع القبورية والعادات الجاهلية ، فقيض الله لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فطهَّر الله بدعوته المباركة جزيرة العرب لاسيما : الحجاز ونجد وما حولها .

■ وفي اليمن كان العلامة الإمام الصنعاني محمد بن إسماعيل الأمير والعلامة الحسين بن مهدي النعمي فوقفوا في وجه التشيع والتقليد وما جرى مجراه بما كتب لهم .

■ وفي أرض الحجاز ونجد استمر تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الذَّب عن السُّنَّة والوقوف في وجوه أهل البدع .

■ وفي اليمن في القرن الثاني عشر ظهر الإمام الشوكاني فوقف في وجه كثير من البدع لنشر السنن بحسب ما قيض الله له ووفقه إليه .

■ واستمر الأمر في شبه الجزيرة العربية فبالنسبة لأرض الحجاز ونجد وما جاورها، كانت الجولة بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتلامذته وأبنائه وأنصاره وأعوانهم من الدولة [١] .

■ وبالنسبة في اليمن بعد الشوكاني فإنه لم يزل الأمر على ذلك التشيع والبدع والخرافات المستقبحة ، فقيض لها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي بعد حقبة من الزمن مظلمة على بلد اليمن والإيمان، فبدد الله به ظلم البدع وأنار الله به السُنن، وفتح الله به آذاناً كانت صما وأعيناً عمياً ، فكم أحيا الله به من القلوب التي كانت البدعة قد أماتتها ، ومن السُنن التي كانت البدع قد وارتها ، فنفع الله به نفعاً لم يشهد له نظير منذ خروج معاذ بن جبل وأبي موسي إلى اليمن .

■ وظهرت بدع التحزب والتكتلات الحزبية والتجمعات البدعية وغيرها من البدع القولية والفعلية وذلك في القرن الثالث عشر والرابع عشر .

وقيض الله ـ عز وجل ـ لها عدة من الأئمة كالشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد ناصر الدين الألباني ،والشيخ مقبل بن هادي الوادعي ،والشيخ محمد بن صالح العثيمين ، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي ، وأمثالهم من أهل السُّنَّة والاستقامة الذين قاموا للحق وقعدوا له فبدّدوا تلك البدع وأظهرو عوارها ، وكان أشدهم إظهاراً لها ، وتبيناً لعوارها شيخنا مقبل والشيخ الألباني والشيخ ابن باز والشيخ ربيع عليهم رحمة الله أجمعين .

■ وقد خلف من بعدهم خلف مبارك في أماكن شتى في البلاد الإسلامية من تلامذتهم وأقوامهم منهم قائمون علي السُّنَّة والدعوة إليها بجد واجتهاد،

(١) **انظر** : « دراسات في الأهواء والفرق والبدع » ص ١٧٣ وما بعد الفصل و « الرد على المخالف » ص ٢١ ومابعدها ، فقد استفدت من هذين المصدرين وغيرهما في هذا الفصل والحمد لله رب العالمين.

وواقفون في وجوه البدع على نحو ما كان عليه مشائخهم ـ رحمهم الله ـ وذلك إلى يومنا هذا [١] .

■ وهذه هى سُنَّة الله في نصرة دينه ،ودحض ما يضاده ويخالفه من البدع والأهواء.

■ **والأمر الذي أدى بي إلى زبر[٢] هذه السطور هو :**

■ أنه في هذه الآيام في العام (١٤٢٥) للهجرة ظهرت ظاهرة الروافض، وصاروا يضربون بخيلهم ورجلهم في إحياء بدعهم التي قد أميتت ، ويحاولون ذلك بالمال والرجال .

■ مظهرين ذلك متبجحين به ، من سَبِّ الصحابة .

■ والإنكار للصفات.

■ ورحمة الله للموحدين بخروجهم من النار.

■ وانكارهم لرؤية الله تعالى .

■ **ومن أشد ما ينكرونه في هذه الأيام ويدعون إليه هي :**

■ بدعة إنكار عذاب القبر ونعيمه.

وهي بدعة قديمة أسسها الزنادقة والمبتدعة من المعتزلة وغيرهم من الضلال .

■ فقديماً أنكر عذاب القبر ضرار بن عمرو وهو من كبار رؤس المعتزلة ، وبشر المريسي وهو من الجهمية المعتزلة ، ويحيى بن كامل وهو من المعتزلة ونحوهم من فلول الرافضة وأهل الخزية والزيغ والضلال [٣] .

■ **وقد رد هذه البدعة أهل السُنة قديماً وحديثاً فصنفوا فيها ، وذكروها**

---

(١) ومن أمثلة ذلك ما وقع في اليمن من بدعة أبي الحسن المصري المآربي في التكتل والانحراف فوقف في وجهها وردها وقطع دابرها العلماء الأجلاء في اليمن وخارجها . فجزاهم الله خير الجزاء .

(٢) زبر الكتاب زبراً : كتبه .

(٣) **انظر** : « الفصل في الملل والنحل » (٤ / ١١٧) و « الأصول والفروع » (ص ٨٢) وكلاهما لابن حزم و « الروح » لابن القيم (ص ٧١) .

في أبواب العقائد بكثرة فمن ذلك :

[١] كتاب « القبور » لابن أبي الدنيا في مجلد وهو مطبوع .

[٢] كتاب « إثبات عذاب القبر » للإمام البيهقي وهو مطبوع .

[٣] كتاب « الروح » للإمام ابن القيم .

[٤] كتاب « أهوال القبور » للحافظ ابن رجب وهو الكتاب الذين بين يديك « صحيحه وتهذيبه » .

[٥] كتاب « التذكرة » للإمام القرطبي .

ومن الذين عقدوا فصولاً في عذاب القبر من أهل العلم في كتبهم : عددهم لايكاد يحصر لكن من ذلك على سبيل الاختصار :

[١] **الإمام البخاري محمد بن إسماعيل**،المتوفي سُنَّة (٢٥٦) « في صحيحه » في كتاب الجنائز (باب (٨٦) . باب : « ما جاء في عذاب القبر » وساق تحته عدة ايات وأحاديث ثم قال : (٨٧) باب : التعوذ من عذاب القبر .

[٢] **الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين** ، المتوفى سُنَّة (٢٦١) هـ : عقد في صحيحه باباً في عذاب القبر، بوب عليه القاضي عياض، وإكمال المعلم (٨ / ٤٠٠) في كتاب الجنة ، باب : عرض مقعد الجنة أو النار وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه » ، وتبعه النووي في ذلك فبوب بنفس التبويب في شرحه قبل رقم (٢٨٦٦) .

[٣] **الإمام محمد بن يزيد بن ماجه** ، المتوفي سنة (٢٧٣) هـ . في « سُننه » بَوَّبَ في « الجنائز » باب ما جاء في الميت يعذب بما نِيح عليه ، وفي كتاب الزهد « ذكريات في ذكر القبر والبلى » ،وسرد فيه أحاديث عذاب القبر ونعيمه .

[٤] **الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث**،المتوفى سُنَّة (٢٧٥) هـ في « سُننه » عقد باباً « في المسألة في القبر وعذاب القبر» وذلك في كتاب السُنَّة منه .

[٥] **الإمام الترمذي** : محمـــد بن عيسى المتــوفى سنة (٢٧٩) هـ . ذكـر في « جامعه » في كتاب الجنائز باب : « ما جاء في عذاب القبر » .

[٦] **الإمام النسائي** : أحمد بن شعيب المتوفي سنة (٣٠٣) هـ عقد في سُننه « الكبير والصغير عدة أبواب في إثبات عذاب القبر » وذلك في كتاب الجنائز وغيـرهم من أهل العلم من المصنفين في الحديث والآثار فإنهم يذكرون عذاب القبر ويبوبون عليه عدة أبواب :

ومن أهل العقائد :

[١] **أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم** المتوفي سُنَّة (٢٨٧) هـ . عقد في كتابه « السُّنَّة » عدة أبواب في إثبات عذاب القبر .

[٢] **الإمام الخلال أحمد بن محمد** ،المتوفي سُنَّة (٣١١) هـ عقد في كتابه « السُّنَّة » فصلاً كبيراً فيما يظهر في عذاب القبر وقد نقل منه الحافظ ابن رجب كثيراً .

[٣] **الإمام عبد الله بن الإمام أحمد** ، المتوفي سُنَّة (٢٩٠) في « كتاب السُّنَّة » (٢ / ٥٩٢ وما بعدها) .

[٤] **الإمام الآجـري محمـد بن الحـسين**،المتوفي سنة(٣٦٠) هـ ، في كتاب « الشريعة » في الجزء العاشر من هذا الكتاب القيم جعله في إثبات عذاب القبر ونعيمه ومسأله منكر ونكير في القبر « الشريعة » (٣ / ١٢٧٢ – ١٣٠٠) .

[٥] **الإمام محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده** ، المتوفى سُنَّة (٣٩٥) هـ في كتابه « الإيمان » (٢ / ٩٦٢– ٩٧٢) قال : « ذكر وجوب الإيمان بالسؤال في القبر . . »

[٦] **الإمام ابن أبي زمنين محمد بن عبد الله الأندلسي** ، المتوفي سُنَّة ٣٩٩ هـ في كتابه « أصول السُّنَّة » ص ١٥٠، قال : «الإيمان بسؤال الملكين » . وص١٥٤ ، قال : «الإيمان بعذاب القبر » .

[٧] **الإمام هبة الله الحسن اللالكائي** ، المتوفي سُنَّة (٤١٨) هـ . عقد عدة أبواب في عذاب القبر في كتابه « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » .

[٨] **الإمام الأصبهاني إسماعيل بن محمد** ، المتوفي سُنَّة (٥٣٥) هـ عقد في كتابه « الحجة في بيان المحجة » (٢ / ٤٤٩) فصلاً في الرد على من أنكر عذاب القبر وص ٤٧٥ : فصلاً في الرد على من ينكر إخراج الموحدين من النار .

[٩] وكذا في العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشروحها .

[١٠] وكذا في العقيدة الطحاوية وشروحها .

■ وبالرغم من إجماع أئمة السلف والخلف على إثبات عذاب القبر إلا من شذ من المبتدعة الذين لا يعتد بخلافهم .

■ فإنهم قد حاولوا ترويج هذه الدعوى بين العوام ورعاع النا س .

■ تهيجاً للناس على فعل المعاصي وعدم التخويف من عذاب الله .

■ فكثير من الناس ربما يتورع عن المعاصي خوفاً من عذاب القبر وفتنته .

■ فبهذه البدع المفتراه ، يهونون على الناس تلك المواقف العصيبة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

■ وكنت قد عزمت في نفسي على كتابة جزء مفرد في عذاب القبر .

■ ثم أخبرت بأن هناك أكثر من أخ عندنا في دار الحديث حرسها الله من كل شر يجمعون في هذا الباب . إثنان منهم يجمعان « الجامع في القبر » .

■ الثالث : يجمع « الصحيح المسند في عذاب القبر » .

■ فرأيت أن تكون خدمتي في هذا الباب على كتاب الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى على ما سيأتى بيانه إن شاء الله .

نبذة حول ما تضمنه الكتاب

الكتاب تضمن جل مسائل عذاب القبر وجل مسائل الروح :

فمن مسائل القبر التي تضمنها :

[١] مسألة منكر ونكير والفتنة في ذلك وتضمن تحته مسائل .

- **منها :** هل سؤال الملكين في القبر للمؤمن والمنافق والكافر أم للكافر فقط؟ .
- **ومنها :** هل السؤال خاص بهذه الأمة أم لجميع الأمم ؟ .

[٢] دفاع العمل عن الميت .

[٣] في ذكر عذاب القبر ونعيمه وتضمن دلالة القرآن على عذاب القبر ، وذكر المصنف خمسة أدلة من القرآن ، وأضفت إليها خمسة أخرى ، وذكر جملة من أحاديث عذاب القبر وحكى تواترها .

[٤] أنواع عذاب القبر .

[٥] أسباب عذاب القبر .

[٦] موانع عذاب القبر .

وغير ذلك من المسائل التي تراها مسطرة في هذا الكتاب الذي بين يديك .

أما مسائل الروح فمنها :

- هل الأرواح تتلاقى وتتزاور ؟ .
- هل الأموات يسمعون كلام الأحياء بأرواحهم وأجسادهم؟ ، والخلاف في ذلك .
- هل الروح تعود إلى البدن عند السؤال؟ ، والخلاف في ذلك .
- هل العذاب على الروح والجسد ؟ .



■ محل الأرواح باختلافها والخلاف في ذلك ، وغير ذلك من المسائل الجليلة التي طرقها المصنف .

■ ولم يذكر المصنف شبهات المنكرين لعذاب القبر فأحببت ذكرها وسأسوقها لك من « الروح لابن القيم » ص ٧٦ – ٩١) بتصرف .

قال رحمه الله :

المسألة السابعة : وهي قول السائل ما جوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ، وكون الميت لا يجلس و لا يقعد فيه ؟ :

قالوا : فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عميًا صمًّا يضربون الموتى بمطارق من حديد ، ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيرانا تأجج ، ولو كشفنا حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير ، ولو وضعنا على عينيه الزئبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله .

وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ، ونحن نجده بحاله ؟!. ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يزد ولم ينقص . وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التي تؤنسه أو توحشه ؟ قال : إخوانهم من أهل البدع والضلال : وكل حديث يخالف مقتضى العقول والحس يقطع بتخطئة قائله ، قالوا : ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة ، لا يسأل ، ولا يجيب ، ولا يتحرك ، ولا يتوقد جسمه ناراً ، ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج الرياح كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها ؟. وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه ؟ ، وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ؟. وكيف يضيق عليه حتى تلتئمه أضلاعه ؟،ونحن نذكر أموراً يعلم بها الجواب .

فصـــل

الأمر الأول : أن يعلم أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول ، وتقطع باستحالته بل أخبارهم قسمان :

أحدهما : ما تشهد به العقول والفطر .

الثانـــي : مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب ، ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا ، وكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين ، إما يكون الخبر كذباً عليهم أو يكون ذلك العقل فاسداً وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح .

قال تعالى : ﴿ **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [سبأ : ٦] .

وقال تعالى : ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ** ﴾ .

[الرعد : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ** ﴾ [الرعد : ٣٦] والنفوس لا تفرح بالمحال .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** ﴾ [يونس : ٥٧-٥٨] . والمحال لا يشفى ولا يحصل به هدى ولا رحمة ولا يفرح به . فهذا أمر من لم يستقر في قلبه خير ولم يثبت له على الإسلام قدم وكان أحسن أحواله الحيرة والشك .

فصـــل

الأمر الثاني : أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير . فلا يحمل كلامه مالا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان .

وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ، مالا يعلمه إلا الله بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة – وضلالة ، نشأت في الإسلام ، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع ، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع . فيا محنة الدين وأهله والله المستعان .

وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة ، وسائر الطوائف من أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورسوله ، حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الأفهام ، والذي فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله ، فمهجور لا يلتفت إليه ولا يرفع هؤلاء به رأساً ، ولكثرة أمثلة هذه القاعدة تركناها ، فإنا لو ذكرناها لزادت على عشرة آلاف ، حتى أنك لتمر على الكتاب من أوله إلى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله ، ومراده كما ينبغي في موضع واحد .

وهذا إنما يعرفه من عرف ما عند الناس ، وعرضه على ما جاء به الرسول وأما من عكس الأمر بعرض ما جاء به الرسول على ما اعتقد وانتحله وقلد فيه من أحسن به الظن فليس يجدي الكلام معه شيئاً فدعه ، وما اختاره لنفسه ووله ما تولى واحمد الذي عافاك مما ابتلاه به .

فصــل

الأمر الثالث : أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثاً : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعا لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر مه حركات اللسان والجوارح ، وإن أضمرت النفوس خلافه !، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها ، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها ، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم ، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور لها ، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها تجري أحكام البرزخ على الأرواح ، فتسري إلى أبدانها نعيما أو عذاباً كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيما أو عذباً ، فأحط بهذا الموضع علماً واعرفه كما ينبغي يزيل عنك كل أشكال يورد عليك من داخل وخارج .

وقد أرانا الله سبحانه وتعالي بلطفه ورحمته وهدايته ، من ذلك انموذجًا في الدنيا من حال النائم ، فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلاً والبدن تبع له ، وقد يقوي حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً .

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك ، وذاك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس ، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع ، فهكذا في البرزخ ، بل أعظم فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى ، وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع

عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ، وصار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً باديا أصلا .

ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول ﷺ : من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه ، مطابق للعقل ، وأنه حق لا مرية فيه ، وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أتى ، كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين في فراش واحد ، وهذا روحه في النعيم ، ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه . وليس عند أحدهما خبر عن الآخر ، فأمر البرزخ أعجب من ذلك .



فصــل

الأمر الرابع : أن الله سبحانه وتعالي جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار ، وذلك من كمال حكمته . وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم ، فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريباً منه ، ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار ، ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر .

فصــل

الأمر الخامس : أنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لا نشعر بها ، لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود ، فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم ، ولا تشعر بحياتهم ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالا بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه ، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل في الجمادات شعوراً وإدراكاً تسبح ربها به وتسقط الحجارة من خشيته ، وتسجد له الجبال والشجر وتسبحه الحصى والمياه والنبات قال تعالى : ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ [الإسراء : ٤٤] ، ولو كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل : ﴿ **وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ** ﴾ [ص : ١٨] ، والدلالة على الصانع لا تختص بهذين الوقتين وكذلك قوله تعالى : ﴿ **يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ** ﴾ [سبأ : ١٠] والدلالة لا تختص معيته وحده وكذب على الله من قال: التأويب رجع الصدي، فإن هذا يكون لكل مصوت ، وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ** ﴾ [الحج : ١٨] والدلالة على الصانع لاتختص بكثير من الناس وقد قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ [النور : ٤١] ، فهذه صلاة وتسبيح حقيقية يعلمها الله وإن جحدها الجاهلون المكذبون ، وقد أخبر تعالى عن الحجارة أن بعضها يزول عن مكانه ويسقط من

خشيته وقد أخبر عن الأرض والسماء أنهما يأذنان له ، وقولهما ذلك أي يستمعان كلامه وأنه خاطبهما فسمعا خطابه وأحسنا جوابه فقال لهما :﴿ **ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ [فصلت : ١١] ، وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل [١] ، وأُسمعوا حنين الجذع [٢] اليابس في المسجد ، فإذا كانت هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور ، فالأجسام التي كانت فيها الروح والحياة أولى بذلك . وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار إعادة حياة كاملة إلى بدن قد فارقته الروح فتكلم ومشى وأكل وشرب وتزوج وولد له : كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال : لهم الله موتوا ثم أحياهم : ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ، وكقتيل بنى إسرائيل أو كالذين قالوا لموسى : ﴿ **لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً** ﴾ [البقرة : ٥٥] ، فأماتهم الله ثم بعثهم من بعد موتهم ، وكأصحاب الكهف وقصة إبراهيم في الطيور الأربعة ، فإذا أعاد الحياة التامة إلى هذه الأجساد بعد ما بردت بالموت ، فكيف يمتنع على قدرته الباهرة أن يعيد إليها بعد موتها حياة ما غير مستقرة يقضي بها ما أمره فيها ، ويستنطقها بها ، ويعذبها أو ينعمها بأعمالها، وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب وعناد وجحود . وبالله التوفيق .

---

(١) رواه البخاري (٣٥٧٩) .

(٢) رواه البخاري (٣٥٨٣) .

فصــل

الأمر السادس : أنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو مابين الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ **وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] ، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة وسمي عذاب القبر ونعيمه،وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق، فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما ، فقد ظن بعض الأوائل : انه إذا حرق جسده بالنار وصار رماداً وذرى بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك ، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ، ثم قال : قم فإذا هو قائم بين يدي الله ، فسأله : ما حملك على ما فعلت ؟ ، فقال : خشيتك يارب وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه [1] . فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه ، فيجعل الله النار على هذا برداً وسلاماً ، والهواء على ذلك ناراً وسموماً فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها ، وخالقها يصرفها كيف يشاء ، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده بل هي طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته ، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

فصـــل

الأمر السابع : أن الموت معاد وبعث أول ، فإن الله سبحانه وتعالي جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزي فيهما الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

فالبعـــث الأول : مفارقة الروح للبدن ، ومصيرها إلى دار الجزاء الأول .

والبعث الثاني : يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار وهو الحشر الثاني ، ولهذا في الحديث الصحيح : « **وتؤمن بالبعث الآخر** »[1] فإن البعث الأول لا ينكره أحد ، وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالي هاتين القيامتين وهما الصغرى والكبرى في سورة المؤمنون وسورة الواقعة وسورة القيامة وسورة المطففين وسورة الفجر وغيرها من السور ، وقد اقتضى عدله وحكمته أن جعلها داري جزاء المحسن والمسيء ، ولكن توفيه الجزاء إنما يكون يوم المعاد الثاني في دار القرار كما قال تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يومَ الْقِيَامَةِ** ﴾ .

[آل عمران : ١٨٥] .

وقد اقتضي عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى ، وكماله المقدس ، تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم ، وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم ، فلابد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة ما يليق به ، ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه . هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس ، ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها ذلك ، وأما البرزخ فأول دار الجزاء فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضي الحكمة إظهاره،فإذا كان يوم القيامة الكبرى وفي أهل الطاعة وأهل المعصية ما يستحقونه

---

(١) رواه البخاري (٥٠) .

من نعيم الأبدان والأرواح وعذابهما ، فعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ هناك ، كما دل عليه القرآن والسُّنَّة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة صريحة، كقوله ﷺ : « **فيفتح له باب إلى الجنة ، فيأتيه من روحها ونعيمها ، وفي الفاجر فيفتح له باب إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها** »[1] ومعلوم قطعاً أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها .

■ ولهم شبهة أخرى ، أن العبد إذا صار إلى القبر يكون مرقداً له واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** (٥٢) ﴾ [يس : ٥٢] ، وإذا كان في مرقد فإنه لاعذاب هناك .

وقد ذكرنا الإجابة عن هذا الاستدلال الخاطيء في ص ٨٧ – ٨٨ تحت عنوان (هل يفتر العذاب عن العبد في قبر) من الباب الخامس في هذا الكتاب .

فاغنى عن إعادته هنا فانظر ـ وفقك الله ـ للصواب .

---

(١) سيأتي الكلام عنه إن شاء الله .

عملي في الكتاب

عملي يكون في الأمور التالية :

[١] عمدت إلى الكتاب الذي هو « أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور » المطبوع في المكتبة العصرية فإنها هي الطبعة الوحيدة التي توفرت بين يدي ، وهي طبعة غير مصححه ولكن قد علق في تصحيحها وتصويبها ، كما سنرى ذلك إن شاء الله بقدر المستطاع .

[٢] حذفت الأحاديث الضعيفة والآثار الضعيفة والحكايات الضعيفة .

[٣] إذا لم أقف على سند الأثر أو الحكاية التي يذكرها فإني أحذفها .

[٤] حكمت على الأحاديث المقبولة بما تستحقه من الصحة أو الحسن على حسب القواعد في علم مصطلح الحديث .

[٥] ربما دعمت قولي بقول بعض العلماء سواء من المتقدمين أو المعاصرين .

[٦] خرجت الأحاديث والآثار تخريجاً مختصراً حتى لا أثقل الحواشي بالتخريجات الكثيرة إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

[٧] أضفت بعض الفوائد والأقوال في الحواشي .

[٨] أرجعت الأقوال إلى مصادرها المتوفرة بين يدي .

- إذا وضعت عنواناً يقتضي في أصل الكتاب أجعله بين معكوفين هكذا [–] .
- رقمت الأحاديث والآثار أرقاماً تسلسلية من أول الكتاب إلى آخره .

[٩] إذا تركت حديثاً ضعيفاً لأن السياق يحتاج إليه فأبين ضعفه وإنما أكون تركته لأن السياق لايصح بغير ذكره .

[١٠] أضفت مقدمة أرجو أن تكون نافعة في بابها .

[١١] ترجمة للمصنف ترجمة مختصرة .

■ سمَّيته [**الصحيح المهذب لكتاب أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور**] «للحافظ ابن رجب» .

وهذا هو جهد المُقل ، فما كان فيه من صواب فذلك من توفيق الله ومنَّته عليّ ، وما كان سوى ذلك، فمني ومن الشيطان ، والله حسبي ونعم الوكيل .

وإِن تري عيباً فسد الخلل فجل من لاعيب فيه وعلا



ترجمة مختصرة للمصنف [١]



اسمه ونسبه :

■ هو عبد الرحمن بن الحسن [٢] بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي الشيخ المحدث الحافظ زين الدين الشهير بـ « ابن رجب »

مولده :

■ ولد ببغداد في ربيع الأول سنة (٧٣٦) هـ[٣] .

مشايخه :

■ قدم دمشق مع والده فسمع معه من :

■ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخباز .

■ وإبراهيم بن داود العطار . وغيرهما .

■ **وبالقاهرة من :**

■ أبي الفتح الميداوي .

■ وأبي الحرم القلانسي وغيرهما .

■ **وبالقاهرة من :**

■ ابن الملوك.

ورافق العراقي في السماع كثيراً ، وأكثر عن الشيوخ حتى خرج لنفسه مشيخة مفيدة .

---

(١) مأخوذة من «إنباء الغمر » (٣ / ١٧٥ – ١٧٦) و « الدرر الكامنة » (٢ / ١٩٥) ، رقم (٢٢٧٧) كلاهما للحافظ ابن حجر .

(٢) في « إنباء الغمر » « عبد الرحمن بن أحمد » .

(٣) كذا في « إنباء الغمر » وفي « الدرر » (سنة ٧٠٦ هـ) والصواب ما في « إنباء الغمر » .

علمه :

■ أكثر من المسموع وأكثر من الاشتغال حتى مَهر في علوم شتى، لاسيما علوم الحديث أسماءاً ، ورجالاً ، وعللاً ، وطرقاً ، واطلاعاً على معانيه ، وله باع طويل في الفقه .

من أشهر مؤلفاته :

ألَّف كتباً عديدة ، وأتقنها وأجاد فيها من تلك الكتب :

[١] « فتح الباري شرح صحيح البخاري » – وهو مطبوع وصل فيه إلى الجنائز وهو كتاب فقه وحديث وعلل وجرح وتعديل وقواعد حديثية وأصولية . وهذه هي طريقته في سائر كتبه .

[٢] « شرح جامع الترمذي » وفقد هذا الكتاب في فتنة التتار سنة (٨٠٣)هـ . ولم يبق سوى عشر ورق من كتاب « اللباس » وهي في المكتبة الظاهرية .

■ و« شرح العلل » التي في آخر الجامع وقد طبع عدة طبعات

[٣] « جامع العلوم والحكم » وقد طبع .

[٤] « اللطائف » وقد طبع

[٥] « القواعد الفقهية » وقد طبع .

[٦] « ذيل طبقات الحنابلة » وهو مطبوع وله رسائل في شروح الأحاديث وأجزاء مفيدة إلى الغاية قد جمع بعضها في مجلدين .

عبادته : كان صاحب عبادة وتهجد .

قراءته للقرآن : قرأ القرآن بالروايات .

مذهبه : هو حنبلي المذهب ، ونقم عليه افتاؤه بمقالات شيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم أظهر الرجوع عن ذلك فنافره أتباع شيخ الإسلام فلم يكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء . وكان ترك الإفتاء بآخره .

عقيدتــه :

سلفي العقيدة والطريقة ، مشي على ما مشى عليه السلف الصالح رضوان عليهم .

أخلاقــه :

كان قليل المخالطة للناس ، والتردد إليهم ... ومن ثناء العلماء عليه :

قـال الحافظ ابـن حجـر : أتقن الفن وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق تلامذته ، تخرج على يديه كثير من الحنابلة .

وفاتــه :

قال ابن ناصر الدين في كتابه « الرد الوافر » ص ١٠٧ :

حدثني من حضر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين ابن رجب قبل أن يموت بآيام جاء إلى الحفار فقال له : احفر لي ههنا لحداً وأشدد إلى البقعة التي أدفن فيها ، قال : فحفرت له فلما فرغ نزل في القبر واضطجع فيه فأعجبه ، وقال : هنا جيد ثم خرج .

قال فوالله ماشعرت به بعد آيام إلا وقد أوتي به ميتاً محمولاً في نعشه فوضعته في ذلك وواريته فيه . وكانت وفاته في شهر رجب [١] سنة (٧٩٥) هـ ، فرحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) في « إنباء الغمر » أنه مات في رمضان .

£

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أسكن عباده هذه الدار ، وجعلها لهم منزلة الأسفار وجعل الدار الآخرة هي دار القرار ، وجعل بين الدنيا والآخرة برزخاً يدل علي فناء الدنيا باعتبار ، وهو في الحقيقة إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار ، ويرفق بعباده الأبرار ، في جميع الأقطار ، وسبق رحمته بعباده غضبه ، وهو الرحيم الغفار .

أحمده على نعمة القرار ، وأشكره وفضله علي من شكره مدرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النَّبى المختار ، الرسول المبعوث بالتبشير والإنذار ، ﷺ وعلى آله وصحبه صلاة تجدد بركاتها بالعشى والإبكار .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالي خلق بني آدم للبقاء لا للفناء ، وإنما ينقلهم بعد خلقهم من دار إلى دار ،كما قال ذلك طائفة من السلف الأخيار منهم بلال بن سعد وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما فأسكنهم في هذه الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ، ثم ينقلهم إلى دار البرزخ فيحبسهم هنالك إلى أن يجمعهم يوم القيامة ويجزي كل عامل جزاء عمله مفصلاً ، هذا مع أنهم في دار البرزخ بأعمالهم مُدانون مكافأون ، فمكرمون بإحسانهم ، وبإساءتهم مهانون ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

قال مجاهد : البرزخ : الحاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا (١) .

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٩ / ٧١) وسنده صحيح .

وقد سألني بعض الإخوان الصالحين أن أجمع لهم ماورد من أخبار البرزخ ، وأحوال الموتى الذاهبين ، فإن في سماع ذلك للقلوب عظة وهو يحدث لأهل الغفلة الانتباه واليقظة ، فاستخرت الله تعالى في جمع ما ورد في ذلك من الكتاب والسُّنَّة وأخبار سلف الأمة وما ورد في الاتعاظ بالقبور وكلام الحكماء من منظوم ومنثور ، كل ذلك على وجه الاختصار ، لأن استيعاب ذلك يوجب الملل للإطالة والاكثار .

والله المسؤول أن يجعلنا ممن يبادر الفوت ويراقب الموت ، ويتأهب للرحلة قبل الممات ، وينتفع بما سمع من العظات ، بمنه وكرمه وقد قسمته ثلاثة عشرة باباً ، والله المسؤل أن يجعله عملاً خالصاً صواباً . . .

وسميته كتاب [**أهوال القبور ، وأحوال أهلها إلى النشور**] .

والله المسؤول أن يجعله خالصاً لوجهه ، مقرباً إليه ، نافعاً في الدنيا والآخرة لجامعه ومن وقف عليه ، إنه أكرم المسؤوليين وأعظم المأمولين .



الباب الأول

في ذكر حال الميت عند نزوله قبره وسؤال الملائكة له وما يفسح له في قبره أو يضيق عليه وما يرى من منزله في الجنة أو النار

[١] قال الله تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

[٢] وخرجا [١] في « الصحيحين »[٢] من حديث البراء ﷺ عن النَّبي ﷺ : قال : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ نزلت في عذاب القبر .

■ زاد مسلم : « **ويقال له من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبيي محمد ، فذلك قوله سبحانه وتعالي : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾** » .

■ وفي رواية للبخاري قال : « **إذا اقعد العبد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾** » .

[٣] وأخرج أبو داود [٣] عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : « **إنه**

---

(١) يعبر المصنف بقوله « خرج » و الصواب « أخرج » لأنه أسنده بنفسه والمخرج هو الذي يجمع الطرق المسندة عند غيره كالزيلعي في « نصب الرايه » والحافظ في « التلخيص » وهكذا ، وقد نبهت على هذا في تحقيق الأربعين النووية مع تتمتها للمصنف وفي « صحيح التخويف من النار » .

(٢) البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١) .

(٣) في « سُننه » (٤٧٥٣) والحديث صحيح بجميع الألفاظ التي ستذكر وهو حديث واحد مطول قطعه المصنف علي روايات قال ابن مندة كما في « الروح » لابن القيم (ص ٥٩ – ٦٠) : هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ . لا نعلم أحداً من أئمة الحديث طعن فيه ، بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلاً من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر. ا هـ . وقال ابن القيم في « الروح » (ص ٥٢) : وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السُّنَّة والحديث من سائر الطوائف .

ليسمع قرع نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له : من ربك ؟، وما دينك ؟، ومن نبيك ؟ » .

وفي رواية له : « **ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان : مادينك ؟ فيقول ديني الإسلام ، فيقولان له : ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله ، فآمنت به وصدقت** » .

وفي رواية له : « فذلك قوله عز وجل : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ .

قال : « **فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة وألبسوه من الجنة، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويوسع له في قبره مد بصره** » .

قال : وذكر الكافر قال : « **وتعاد روحه إلى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار قال: فيأتيه من حرها وسمومها ، قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه** » .

وفي رواية له : « **ثم يُقَيَّضُ له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لوضرب بها جبل لصار تراباً، قال : فيضربه ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب ، إلا الثقلين فيصير تراباً ، قال: ثم تعاد فيه الروح** » .

خرَّجه النسائى وابن ماجه مختصراً [١] .

---

(١) **الحديث صحيح** : أخرجه النسائي (٤ /٩٧ – ٩٨) وابن ماجة (٤٢٦٩) وأنظر طرقه وألفاظه في « الجامع الصحيح » لشيخنا الإمام الوادعي عليه رحمة الله (٢ / ٢٧١ – ٢٧٥) .

وخرجه أحمد [١] بسياق مطول والحاكم ، وقال : على شرط الشيخين [٢] .

وفي رواية للإمام أحمد « **ثم يقيض له أعمى أبكم أصم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً ، فيضربه ضربة فيصير تراباً ، ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين** » .

قال البراء بن عازب : « **ثم يفتح له باب إلى النار، ويمهد له فرش من النار**» .

[٤] وخرجاه في « الصحيحين » [٣] من حديث قتادة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى أصحابه ، ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا ، أتاه الملكان فيقعدانه فيقولان : ماكنت تقول في هذا الرجل محمد ؟، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً**» .

قال قتادة : وذكرلنا أنه يفسح له في قبره مد بصره – ثم رجع إلى حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **أما المنافق والكافر فيقال له : ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين** » .

[٥] وخرجا في « الصحيحين » من حديث أسماء بنت أبي بكر أن النَّبي ﷺ قال في خطبته يوم كسفت الشمس « **ولقد أوحى إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل** – أو قريباً – **من فتنة المسيح الدجال يؤتي أحدكم فيقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول : محمد رسول الله جاءنا**

---

(١) في « المسند » (٤ /٢٨٧ – ٢٨٨ و ٢٩٦ – ٢٩٧) .

(٢) في « المستدرك » (١ /٣٩ – ٤٠) وعقب عليه شيخنا في « تتبعه » (رقم ١١١) « المنهال بن عمرو لم يحتج به مسلم كما في « تهذيب التهذيب » زادان لم يحتج به البخاري فالأولى أن يقال : صحيح فقط إذ ليس على شرط أحدهما .

(٣) البخاري (١٣٣٨ – ١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) .

بالبينات والهدى ، فأجبنا وآمنا واتبعنا ، فيقال له : نم صالحاً ، فقد علمنا إن كنت لمؤمناً ، وأما المنافق والمرتاب فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته » [(١)] .

[٦] وخرَّج الترمذي وابن حبان في « صحيحه » [(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : « **إذا قبر الميت** ـ أو قال: أحدكم ـ **أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر والآخر : النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرَّجل؟ ، فيقول : ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً ثم ينور له فيه ثم يقال له : نم ، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت مثله : لا أدري، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه»** .

[٧] وخرج الإمام أحمد وابن ماجة [(٣)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً عن النَّبي ﷺ قال : « **إن الميت يصير إلى القبر ، فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشغوف ثم يقال له : فيم كنت فيقول: كنت في الإسلام ، فيقال له : ماهذا الرجل ؟ فيقول : محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ، فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول : ماينبغي لأحد أن يرى**

---

(١) البخاري (٨٠٨٧,٨٦) ومسلم (٩٠٥) .

(٢) الحديث حسن أخرجه الترمذي (١٠٧١) وابن حبان في « صحيحه » (٣١١٧) وقال الشيخ الألباني في «التعليقات الحسان » (٣١٠٧) حسن صحيح « الصحيحة » (١٣٩١) و« ظلال الجنة » (١٦٤٠) .

(٣) الحديث صحيح وأخرجه باللفظ الذي ساقه المصنف ابن ماجة (٤٢٦٨) ، وأخرجه أحمد (٢ / ٣٦٤ – ٣٦٥) وابن ماجة (٤٢٦٢) بمعناه والمخرج واحد وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ، وأصله في مسلم (٢٨٧٢) .

الله (١) ، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له : انظر إلى ماوقاك الله ، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها . وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك ، ويقال له : على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشغوفاً فيقال له : فيم كنت ؟ ، فيقول : لا أدري ، فيقال له : ماهذا الرجل ؟ ، فيقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلته ، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له : هذا مقعدك من النار ، على الشك مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى » .

[٨] وخرج الإمام أحمد (٢) من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذه الأمة تبتلي في قبورها ، فإذا دخل المؤمن قبره ، وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الإنتهار فيقول له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ ، فيقول المؤمن : أقول إنه رسول الله وعبده فيقول له الملك : انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كليهما فيقول المؤمن : دعوني أبشر أهلي ؟ ، فيقال له اسكن ، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أصحابه وأهله فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : لا أدري أقول ما يقول الناس فيقال : لا دريت ، هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة أبدلك الله به مقعدك من النار » .

---

(١) هذا في الدنيا أما في الآخرة فالأدلة متواترة على إثبات رؤية الله تعالى منها قوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)** ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ٢٣] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم المتفق عليه من حديث جرير بن عبد الله « **إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته** » .

(٢) الحديث حسن وإن كان عند أحمد (٣ / ٣٤٦) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتان القبر فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فذكره .

وابن لهيعة ضعيف وقد تابعه ابن جريج كما عند عبد الرزاق (٦٧٤٤) (٦٧٤٦) فقال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول – فذكره وله شاهد أيضاً من حديث أنس أخرجه أحمد (٣ / ٣٣٣) بسند صحيح . إذاً فحديث جابر صحيح لغيره وآخره « يبعث كل .. »، هو في مسلم (٢٨٧٨) دون قوله « المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه » .

قال جابر رضي الله عنه : فسمعت النَّبي ﷺ يقول : « **يبعث كل عبد على ما مات عليه ، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه** » .

[٩] وأخرج ابن ماجة من حديث جابر رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : إذا دخل الميت القبر مثلت الشمس عند غروبها فيجلس يمسح عينيه ويقول : « **دعوني أصلي** » [١] .

[١٠] وخرَّج الإمام أحمد أيضاً [٢] من حديث عائشة رضي الله عنها عن النَّبي ﷺ قال : « **وأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تُسألون ، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له : فيم كنت ؟ فيقول في الإسلام ، فيقال : ما هذا الرجل الذي كان فيكم ؟ فيقول : محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى من عند الله فصدقناه ،فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله منه ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال : هذا مقعدك منها . ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله ، وإن كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعاً مشغوفاً فيقال له : فيم كنت ؟ ، فيقول : لا أدري ، فيقال له : ماهذا الرجل الذي كان فيكم ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا ، فيفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ماصرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، ويقال له : هذا مقعدك منها ، على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ، ثم يعذب** » .

[١١] وخرَّج الإمام أحمد [٣] أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ : « **يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في**

(١) الحديث سنده حسن عند ابن ماجة (٤٢٧٢) وصححه الألباني .
(٢) ظاهر سنده الصحة أخرجه أحمد (٦ / ١٣٩ - ١٤٠) مطولاً .
(٣) سنده عند أحمد (٣ / ٣-٤) : حسن والحديث صحيح لغيره . فإن له شواهداً ، تقدم بعضها ، وانظر « مسند أحمد » طبع مؤسسة الرسالة (تحت رقم ١١٠٠) .

يده مطراق فأقعده قال : ما تقول في هذا الرجل ؟ ،فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول له : صدقت . ثم يفتح له باباً إلى النار فيقول : هذا كان منزلك لو كفرت بربك ، فأما إذ آمنت بربك فهذا منزلك ، فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له : اسكن ويفسح له في قبره ، وإن كان كافراً أو منافقاً فيقول له : ماتقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً ، فيقول له : لا دريت ولاتليت ولا اهتديت ، ثم يفتح له باب إلى الجنة ، فيقول له : هذا منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا . ويفتح له باب إلى النار ، ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله عز وجل كلهم غير الثقلين فقال بعض القوم : يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ .

[١٢] وخرَّج الإمام أحمد وابن حبان في « صحيحه » [١] من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

[١٣] وخرَّج أبو داود [٢] عن عثمان رضي الله عنه قال : كان النَّبي ﷺ اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « **استغفروا لأخيكم ، وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يسُأل** » .

[١٤] وفي حديث البراء بن عازب عن النَّبي ﷺ أنه ذكر سؤال المؤمن في قبره وإن الملك ينتهره قال : وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذكر قوله تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ . أخرجه الإمام أحمد [٣] وذلك في حق الكافر والمؤمن .

---

(١) الحديث حسن ، أخرجه أحمد (٢ / ١٧٢) وابن حبان في « صحيحه » (٣١٢٥) وحسنه العلامة الألباني في « التعليقات الحسان » (٣١٠٥) .

(٢) الحديث حسن ، أخرجه أبو داود (٣٢٢١) وهو في « الجامع الصحيح » لشيخنا رحمه الله (٢ / ٢٦٣) .

(٣) الحديث صحيح وقد تقدم وأخرجه أحمد (٤ / ٢٩٦) .

فصـــل

وقد أطلع الله من شاء من عباده على كثير مما ورد في هذه الأحاديث حتى سمعوه وشاهدوه عياناً ونحن نذكر بعض ما بلغنا من ذلك .

[١٥] خرَّج ابن أبي الدنيا في كتاب من « عاش بعد الموت » [١] من طريق العلاء بن عبد الكريم قال مات رجل وكان له أخ ضعيف البصر قال أخوه فدفناه فلما انصرف الناس وضعت رأسي على القبر ، فإذا أنا بصوت من داخل القبر ، يقول : من ربك ؟ ومن نبيك ؟ فسمعت صوت أخي وهو يقول : الله ربي ومحمد ﷺ نبي قال الآخر : فما دينك ؟ ، قال الإسلام .

وخرَّجه في كتاب « القبور » بلفظ آخر وفيه قال : فإذا أنا بصوت داخل القبر يقول: من ربك ؟ ، ومن نبيك ؟ ، فسمعت أخي وعرفته وعرفت صوته ، قال : الله ربي ، ومحمد نبي ، ثم ارتفع شبه سهم من داخل القبر إلى أذني فاقشعر جلدي وانصرفت » .

(١) الأثر صحيح الإسناد إلى العلاء بن عبد الكريم أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب « من عاش بعد الموت » (٤٣) وكتاب « القبور » (١٣٤) .

الباب الثاني
في كلام القبر عند نزوله إليه [١]



الباب الثالث
في اجتماع الموتى إلى الميت وسؤالهم إياه



[١٦] خرج النسائي وابن حبان في « صحيحه » من حديث أبي هريرة ﷺ عن النَّبي ﷺ في ذكر خروج الروح وقال في روح المؤمن : « **فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليهم فيسألونه : ما فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه حتى يستريح ، فإنه كان في غم الدنيا ، فإذا قال : أتاكم ، قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية** » [٢] .



(١) لم يثبت في هذا الباب شيء مما ذكره المصنف .

(٢) **صحيح** : أخرجه النسائي (٤ /٨-٩) وابن حبان (٣٠١٤) ، وانظر « الصحيحة » (١٣٠٩) .

الباب الرابع

في اجتماع أعمـــال الميت عليه من خير وشر ومدافعتها عنه وكلاهما له وما ورد من تحسر الموتى على انقطاع أعمالهم ومن أكرم منهم تبقى أعماله عليه

[١٧] عن حمَّاد بن سلمة عن محمد بن عمر بن علقمه عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبي ﷺ، قال: «**والذي نفسي بيده إنه ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه، فإن كان مؤمناً، كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتي من قبل رأسه فتقول الصلاة: ليس من قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ليس من قبلي مدخل، ثم يؤتى عن شماله فيقول الصوم: ليس قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول: فعل الخيرات والإحسان إلى الناس: ليس قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس، وقد مثلت الشمس للغروب، فيقولون له: ماتقول في هذا الرجل الذي كان بعث فيكم** – يعني النَّبي ﷺ – ؟، **فيقول: أشهد أنه رسول الله، جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقناه واتبعناه، فيقال له: صدقت، وعلى هذا حييت، وعلى هذا مت وعليه تُبعث إن شاء الله، فيفسح له في قبره مدَّ بصره فذلك قوله سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾.**

فيقال: افتحوا له باباً إلى النار، فيقال: هذا منزلك لوعصيت الله فيزداد غبطة وسروراً، ويقال: افتحوا له باباً إلى الجنة، فيفتح له فيقال: هذا منزلك، وما أعد الله لك فيزداد غبطة وسروراً فيعاد الجسد إلى ما بُديء منه، وتجعل روحه نسم طير معلق في شجر الجنة. وأما الكافر فيؤتى في قبره من

قبل رأسه فلا يوجد - يعني شيئاً - **فيجلس خائفاً مرعوباً فيقال له : ماتقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به ؟ فلا يهتدي لاسمه ، فيقال : محمد رسول الله ﷺ فيقول : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت كما قالوا : فيقال له : صدقت على هذا حييت ، وعليه مت ، وعليه تبعث - إن شاء الله تعالى - ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فذلك قوله تعالى ، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ ، فيقال له : افتحوا له باباً إلى الجنة فيفتح له باب إلى الجنة ، فيقال : هذا منزلك وما أعد الله لك لو كنت أطعته ، فيزداد حسرة وثبوراً » .**

قال أبو عمر الضرير : قلت لحماد بن سلمة كان هذا من أهل القبلة ؟ .

قال نعم ، قال أبو عمر [١] : « كأنه شهد بهذه الشهادة على غير يقين يرجع إلى قلبه كأن يسمع الناس يقولون شيئاً فيقول » خرجه الطبراني [٢] .

[١٨] وخرَّج الإمام أحمد [٣] عن محمد بن المنكدر ، قال : كانت أسماء تحدث عن النَّبي ﷺ أنه قال : « **إذا أُدخِلَ الإنسان في قبره فإن كان مؤمناً حَفَّ به عمله الصيام والصلاة ، قال : فيأتيه الملك من نحو الصلاة فيرده ، ومن نحو الصيام فيرده فيناديه اجلس ، فيجلس ، فيقول : ماذا تقول في هذا الرجل ؟** - يعني النَّبي ﷺ - ، **قال من ؟ ، قال : محمد ، قال : محمد ﷺ ، قال : فيقال : وما يدريك أأدركته ؟ ، قال يقول : إنه رسول الله ، قال : يقول : على ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، قال : وإن كان فاجراً أو كافراً ، قال : جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه ، قال : يقول : اجلس .**

---

(١) هو الضرير راوي الحديث عن حماد بن سلمة واسمه حفص بن عمر وهو صدوق عالم كما في « التقريب » .

(٢) سنده حسن أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٢٦٣٠) وابن حبان (٣١١٣) وغيرهما وحسنه الشيخ الألباني في « التعليقات الحسان » (٣١٠٣) .

(٣) **صحيح** : أخرجه أحمد (٦ / ٣٥٢ - ٣٥٣) والطبراني في « الكبير » (٢٤ / رقم ٢٨١) ومحمد بن المنكدر أدرك أم سلمة ونص الترمذي في جامعه على سماعه من عائشة فسماعه من أم سلمة محتمل ويشهد لهذا الحديث السابق عن أبي هريرة وحديث أسماء أصله في مسلم (٩٠٥) .

ماذا تقول في هذا الرجل ؟ ، قال : أي رجل ؟ قال : محمد ، قال يقول : والله ما أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته قال : فيقول :له الملك ؟ على ذلك عشت وعليه مت ، وعليه تبعث ، قال : ويسلط عليه دابة في قبره ، معها سوط بمرزبة جرمة مثل غرب البعير تضربه ما شاء الله صماء لاتسمع صوته فترحمه » .

قلت : قوله : ويسلط عليه دابة إلى آخره ، قد روي من وجه آخر عن ابن المنكدر أنه بلغه بذلك ، فلعله مدرج .

[١٩] وفي حديث زادان عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سبق ذكر [١] بعضه [وفيه] **قال في المؤمن : « ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب ، طيب الريح فيقول : أبشر بالذين يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الحسن ، فيقول : رب اقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي »** .

وقال في حق الكافر : « ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب منتن الريح ،فيقول :أبشر بالذي يسوؤك . فهذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : رب لا تقم الساعة » خرجه الإمام أحمد وغيره .

[٢٠] وخرج النسائي في عمل اليوم والليلة [٢] باسناده عن ابن مسعود

---

(١) الحديث صحيح تقدم في الباب الأول برقم (٣) .

(٢) **حسن** : أخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (٧١١) وهو في « الكبرى » برقم (١٠٥٤٧) والطبراني في الكبير (١٠٢٥٤) من طريق عرفجة بن عبد الواحد عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله بن مسعود قال من قرأ : فذكره وعرفجة مجهول حاله ولكنه قد توبع . فقد أخرجه الفريابي في « فضائل القرآن » (٢٩) قال حدثنا محمد بن عبيد بن حسان أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم عن زر أن ابن مسعود ذكر ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾ قال : هي المانعة تمنع من عذاب القبر يُتَوَفَّى الرجل فيؤتى من قبل رجليه فتقول رجلاه لا سبيل لكم على ما قبلي إنه كان يقرأ على سورة الملك ، ويؤتى من قبل بطنه فتقول بطنه لا سبيل لكم على ما قبلى إنه قد دعى في سورة الملك ، ويؤتى من قبل رأسه فيقول رأسه : لا سبيل لكم على إنه كان يقرأ في سورة الملك ، قال : وهى في التوراة ثلاثون آية سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب » . وسنده حسن ، وانظر التخريج على الرقم التالي .



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **من قرأ ﴿ تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر ، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة** » .

[٢١] وأخرج أبو عبيد في كتاب « فضائل القرآن » [(١)] بإسناده عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **إن الميت إذا مات أوقدت له نيران حوله فتأكل النار ما يليها إن لم يكن له عمل يحول بينه وبينها ؛ وإن رجلاً مات ولم يكن يقرأ من القرآن إلا سورة ثلاثين آية فتأتيه من قبل رأسه فقالت : إنه كان يقرأ بي ، فتأتيه من قبل رجليه فقالت إنه كان يقوم بي ، فتأتيه من قبل جوفه فقالت : إنه كان دعائي قال : فأنجته** » . قال زر : فنظرت أنا ومسروق في المصحف فلم نجد سورة ثلاثين آية إلا تبارك .

[٢٢] وخرجه خلف في « فضائل القرآن » ولفظه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه

---

(١) **حسن** : أخرجه أبو عبيد في « الفضائل » (ص ٢٦٠) من طريق مرة الطبيب عن ابن مسعود وأخرجه الفريابي في « الفضائل » (٣١) من طريق على بن مسهر، و (٣٢) من طريق زيد بن أبي أنيسة وابن الضريسي في « الفضائل » (٢٣١) من طريق حماد ورقم (٢٣٢) من طريق سفيان وأبو عبيد في « الفضائل » (ص٢٦٠) من طريق شريك ومن طريقه الدينوري في « المجالسة » (٩٩٧) وأبو الفضل الرازي في « فضائل القرآن » (١٢٠) من طريق وضاح بن عبد الله اليشكري ورقم (١٢١) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة وعبد الرزاق في « المصنف » (٦٠٢٥) من طريق سفيان ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (٩) رقم (٨٦٥١) ورقم (٨٦٥٢) من طريق زائدة ورقم (٨٦٥٤) من طريقه حماد بن زيد والحاكم (٢ /٤٩٨) ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٢٥٠٩) من طريق سفيان .جميعهم عن عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود بألفاظ متقاربة في المعنى وهذا سند حسن .

وأخرجه عبد الرزاق (٦٠٢٤) ومن طريقه الطبراني (٩) رقم (٨٦٥٠) عن معمر عن أبي إسحاق عن الأحوص عن ابن مسعود قال : مات رجل فجاءته ملائكة العذاب فجلسوا عند رأسه فقال : لا سبيل لكم قد كان يقرأ سورة الملك ... فذكر بقية الحديث جميعهم كما ترى يرونه موقوفاً ..

وأخرجه أبو الشيخ في « طبقات محدثي أصبهان » (٧٨٢) فقال : حدثنا إسحاق قال حدثنا أحمد بن منيع في كتاب « فضائل القرآن » قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري قال : حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله ، قال رسول الله ﷺ : « **سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر** » .

قلت : رفعة شاذ فقد ذكره أبو الشيخ في ترجمة إسحاق وقال : كثير الغرائب ومن غرائبه حديث... » ، وساق الحديث هذا ، الأمر الآخر أن الصحيح عن سفيان رواية الرفع على ماسبق وقد رواه موقوفاً كما تقدم جماعة كثير لايقوى الزبيري على مخالفة بعضهم فكيف إذا اجتمعوا فالمنفرد برفعه فيما يظهر لي هو أبو أحمد الزبيري لاسيما وهو يخطي في حديثه على الثوري وانظر الصحيحة » (١١٤٠) .

ذكر تبارك فقال : هى المانعة تمنع من عذاب القبر ، توفي رجل فأتى من قبل رجليه فتقول رجلاه : لا سبيل لكم على ما قبلي إنه كان يقرأ سورة الملك ، ويؤتي من قبل بطنه فيقول بطنه : لا سبيل لكم على ما قبلي إنه يقرأ سورة الملك » .

[٢٣] عن مجاهد في قوله : ﴿ **فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ** ﴾ [الروم : ٤٤] ، قال : في القبر [١] .

قال أحمد : يعني : ابن أبي الحواري : حدثت به يحيى بن معين قال : طوبى لمن كان له عمل صالح يكون وطأه في قبره . ويشهد لهذا كله ما في الصحيحين [٢] .

[٢٤] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : « **يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ، ويبقي واحد يتبعه : أهله ، وماله ، وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقي عمله** » .

[٢٥] وخرجه البزار والطبراني [٣] بسياق مطول من حديث أنس أيضاً عن النَّبي ﷺ قال : « **ما من عبد إلا له ثلاثة أخلاء فأما خليل فيقول له : ما أنفقت فلك ، وما أمسكت فليس لك ، فذلك ماله ، وأما خليل فيقول : أنا معك فإذا أتيت باب الملك رجعت وتركتك ، فذلك أهله وحشمه وأما خليل فيقول : أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت ، فذلك عمله فيقول إن**

---

(١) حسن إلى مجاهد أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٠ / ١١٢) .

(٢) البخاري (٦٥١٤) ومسلم (٢٩٦٠) وللمصنف رسالة مفردة في شرح هذا الحديث وهي مطبوعة .

(٣) الحديث حسن أخرجه البزار كما في « كشف الأستار » (٣٢٢٩) والطبراني في « الأوسط » (٢٥١٨) من طريق عمران بن داور عن قتاده عن أنس وقال البزار : « لا نعلم رواه عن قتاده إلا عمران » وقال بنحوه الطبراني قلت : وعمران هو ابن داور أبو العوام لقطان يصلح للإستشهاد به ، وقد أخرج الحديث الحاكم في « مستدركه » (١ / ٧٤) من طريق أحمد بن حفص بن عبد الله حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعاً بنحوه ، قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه أهـ فتعقبه شيخنا مقبل رحمه الله في تتبعه (٢٤٨) : فقال : « أحمد بن حفص بن عبد الله وأبوه ليسا من رجال مسلم كما في « التهذيب » فهو على شرط البخاري لاغير » ، وهو كما قال شيخنا رحمه الله وله شاهد عن النعمان يأتي ذكره في التعليق التالي إن شاء الله فالحديث صحيح لغيره .

كنت لأهون الثلاثة على » .

[٢٦] وخرجه البزار والحاكم [١] من حديث النعمان بن بشير عن النَّبي ﷺ بمعناه .

[٢٧] وروى إبراهيم بن بشار عن إبراهيم بن أدهم أنه كان ينشد شعراً :

ما أحد أكرم من مفرد ... أعماله في قبره تؤنسه
منعم الجسم وفي روضة ... زينها الله فهي مجلسه

وأما العارفون بالله المحبون له ، المنقطعون إليه في الدنيا ، المستأنسون به دون خلقه، فإن الله بكرمه وفضله لايخذلهم في قبورهم ، بل يتولاهم ويؤنس وحشتهم: فـ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)** ﴾ .

[النحل : ١٢٨] .



(١) **صحيح لغيره** : أخرجه البزار (٣١٣) كما في « الصحيحة » (٢٤٨١) والحاكم (١ / ٧٤–٧٥) وسنده حسن عندهما وإنما صح بشاهده السابق وحسَّن سنده الشيخ الألباني في « الصحيحة » وله شاهد أيضاً من حديث أبي هريرة عند البزار كما في « كشف الأستار » (٣٢٢٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ٢٥٢) رجاله رجال الصحيح ، وآخره عنده من حديث سمرة (٣٢٢٧) .

فصـــل

في الإجتهاد وفي عمل الصالحات وكراهية تمني الموت

[٢٨] خرَّج مسلم في « صحيحه » (١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من علم نافع ، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له** » .

[٢٩] ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « **ولا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، ولا يدع به قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً** » (٢) .

فصـــل

بعض أهل البرزخ يكرمه الله بأعماله الصالحة عليه في البرزخ ، وإن لم يحصل له ثواب تلك الأعمال لانقطاع عمله بالموت ، لكن إنما يبقي عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما يتنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة في الجنة . وإن لم يكن لهم ثواب على ذلك لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعيماً عند أهلها من نعيم جميع أهل الدنيا ولذتها ، فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله وطاعته (٣) .

---

(١) مسلم (١٦٣١) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٢) .

(٣) وذكر تحت هذا الفصل جملة من الحكايات في قراءة الموتى في القبر للقرآن ولا يثبت بها حكم ولكن في الباب ما أخرجه أبو داود (٢٥٠٠) والترمذي (١٦٢١) من حديث فضالة بن عبيد يحدث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « **كل ميت يُختم على عمله ؛ إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر** » واللفظ للترمذي وقال : « حسن صحيح » وهو كما قال .

الباب الخامس
في عرض منازل أهل القبور عليهم من الجنة أو النار بكرةً وعشياً

[٣٠] قال الله تعالى : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)** ﴾ . [غافر : ٤٦] .

قال قتادة في هذه الآية : يقال لهم : يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخاً وصغاراً ونقيصة [١] .

[٣١] وفي « الصحيحين » [٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال : « **إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، حتى يبعثه الله يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة** » .

---

(١) صحيح إلى قتادة ، أخرجه ابن جرير (٢١ / ٣٩٦) .
(٢) البخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦) .

الباب السادس
في ذكـــر عذاب القبر ونعيمه

[٣٢] قال الله تعالى : ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ** ﴾ [الواقعة : ٨٣ – ٩٤] .

[٣٣] وفي « صحيح البخاري » [١] عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه** » .

فقالت عائشة رضي الله عنها أو بعض أزواجه: إنا نكره الموت، قال: « **ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله فكره الله لقاءه** ». وقد روى هذا المعنى عن النَّبي ﷺ من وجوه متعددة .

[٣٤] وعن زادان عن البراء بن عازب [٢] عن النَّبي ﷺ « **إن نفس المؤمن يقال لها اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتسيل ، كما تسيل القطرة من السقاء، وإن نفس الكافر يقال لها : اخرجي إلى غضب الله وسخطه فتتفرق في جسده ، وتأبى أن تخرج ، فيجذبونها ، فينقطع معها العروق والعصب** » .

---

(١) البخاري (٦٥٠٢) ومسلم (٢٦٨٣) .

(٢) صحيح ، تقدم برقم (٣) .

وقد دل القرآن على عذاب القبر في مواضع :

[٣٥] كقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)** ﴾ [١] [الأنعام : ٩٣] .

[٣٦] وخرَّج ابن حبان في « صحيحه » [٢] من حديث حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النَّبي ﷺ في قوله سبحانه وتعالي : ﴿ **فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه :١٢٤] قال : عذاب القبر [٣] .

وقد روى موقوفا وروى من وجه آخر من حديث أبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً [٤] .

[٣٧] عن البراء في قوله ﴿ **وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ** ﴾ [الطور : ٤٧] قال عذاب القبر [٥] [٦] .

---

(١) قال ابن القيم في « الروح » ص ٩٢ : هذا خطاب لهم عند الموت ، وقد أخبرت الملائكة وهم أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون أ هـ وقال السعدي في « تفسيره » في هذا – يعني هذه الآية – دليل على عذاب البرزخ ونعيمه ، فإن هذا الخطاب والعذاب الموجه إليهم إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده . أ هـ . وقد استدل البخاري في صحيحه « كتاب الجنائز » باب (٨٦) بهذه الآية على إثبات عذاب القبر ، وقال ابن القيم في « مفتاح دار السعادة » (١ /٢٧) فقول الملائكة « اليوم تجزون عذاب الهون » المراد عذاب البرزخ الذي أوله يوم القبض والموت » .

(٢) ظاهر سنده الحسن وأخشى أن يكون الراجح وقفه ، أخرجه ابن حبان (٣١١٩) وقال ابن كثير في تفسيره « إسناده جيد » وحسنه العلامة الألباني في « التعليقات الحسان » (٣١٠٩) .

(٣) قال ابن الجوزي في « زاد المسير » (٥ / ٢٤٤) : وممن ذهب إلى أنه عذاب القبر ابن مسعود وأبو سعيد والسدي قلت : وهو ترجيح الإمام ابن جرير الطبري في « تفسيره » (١٨ / ٣٩٤) والقرطبي في « جامعه » (١١ /٢٥٩) ، والسعدي في تفسيره ، وابن القيم حيث قال في « مفتاح دار السعادة » (١ /٢٠٦) : وقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ فسرها غير واحد من السلف القبر وجعلوا هذه الآية أحد الأدلة الدالة على عذاب القبر ولهذا قال : ﴿ **وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)** ﴾ أي : تترك في العذاب كما تركت العمل بآياتنا فذكر عذاب البرزخ وعذاب دار البوار أ هـ وذكر بعد ذلك نظائر هذا من الآيات .

(٤) صوب ابن كثير في تفسيره وقفه على أبي سعيد وهو كما قال وأخرجه موقوفاً عبد الرزاق (٦٧٤) وسنده صحيح .

(٥) قال ابن القيم في « الروح » : فهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر ، لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا ، وقد يقال : وهو أظهر أن من مات منهم عذب في البرزخ ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذاب جهنم في الدنيا وفي البرزخ .

(٦) في سنده شريك النخعي وهو سيىء الحفظ وجاء عن ابن عباس عند عبد الرزاق (٢ /٢٤٨) والطبري =

[٣٨] وكذا روى عن ابن عباس في قوله سبحانه : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) ﴾ إنه عذاب القبر [١] .

[٣٩] وكذا قال قتادة [٢] والربيع بن أنس في قوله عز وجل : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم

(٢٢/ ٤٨٧) من طريق قتادة عنه وقتادة لم يسمع من ابن عباس وأخرجه الطبري من طريق على بن أبي طلحة عنه وفي سنده أبو صالح كاتب الليث وهو ضعيف أما على بن أبي طلحة فقد سمع تفسير ابن عباس عن ثقات أصحابه مثل سعيد بن جبير ونحوه على ما بَيَّنَّاه في « التيسير لمعرفة المشهور من أسانيد كتب التفسير » ، فبالطريقين يرتقي أثر ابن عباس إلى الحسن لغيره والله أعلم . .

وجاء عن زادان عن وكيع في الزهد (١ / ٤٤٢) وفيه أبو كرمه الهندي الظاهر جهالته أنظر الجرح والتعديل (٩ / ٤٣١) وممن ذهب إلى أنه المراد في هذه الآية عذاب القبر أبو صالح وصح عن هناد في « الزهد » (٣٥٣) وأخرجه هناك عن ابن مسعود بسند صحيح برقم (٣٥٢) وانظر الروح ص ٩٣-٩٤ وتفسير السعدي عند هذه الآية .

(١) لم أقف عليه ولكن قد جاء بنحوه عن مجاهد أخرجه الطبري (٢٠ / ١٩١) وابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٦ / ٥٤) وعزاه أيضاً أبي الفريابي وهو قوي إلى مجاهد وأخرجه هناد في « الزهد » (٣٤٥) عن البراء أو عن أبي عبيدة وفي سنده شريك النخعي وهو سيء الحفظ وقال ابن القيم في « الروح » ص ٩٣ : وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم ابن عباس على عذاب القبر وفي الاحتجاج بها شيء ، لأن هذا في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر ، ولم يكن هذا يخفي على حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر فإنه سبحانه أخبر أنه له فيهم عذابين أدنى وأكبر فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا فدل على أنه بقى لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ولهذا قال : ﴿ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ ﴾ ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الأدنى فتأمله ، وهذا نظير قول النَّبي ﷺ : « فيفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها » ولم يقل فيأتيه حرها وسمومها ، فإن الذي وصل إليه بعض ذلك ، وبقى له أكثره والذي ذاقه أعداء الله في الدنيا بعض العذاب وبقي لهم ماهو أعظم منه أ هـ قال العلامة السعدي في « تفسيره » وهذه الاية من الأدلة على إثبات عذاب القبور ودلالتها ظاهرة فإنه قال : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ ﴾ أي : بعض وجزء منه ، فدل على أن ثَمَّ عذاباً أدنى قبل العذاب الأكبر وهو عذاب النار » أ هـ .

(٢) **صحيح** : عن قتادة أخرجه الطبري (١٤ / ٤٤٣) وابن أبي حاتم (٦ / ١٨٧٠) وجاء عن الحسن بنحوه عند الطبري (١٤ / ٤٤٣) وسنده صحيح وأخرجه أيضاً عن ابن جريح وسنده حسن وأخرجه ابن أبي حاتم (٦ / ١٨٧١) عن أبي مالك بلفظ : « **الجوع وعذاب القبر** » .

الخلاصة في الأدلة على عذاب القبر من القرآن :ذكر المصنف عدة أدلة وهي :

[١] قوله تعالي : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) ﴾ .

[الأنعام : ٩٣] .

[٢] ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طـه : ١٢٤] .

[٣] ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ [الطور : ٤٧] .

مَّرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة : ١٠١] ، أحدهما في الدنيا ، والأخرى هى عذاب القبر .

[٤] ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) ﴾ . [السجدة : ٢١] .

[٥] ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) ﴾ [التوبة : ١٠١] .

[٦] قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧].
تقدم رقم (٢) أنه في الصحيحين عن البراء أنها نزلت في عذاب القبر .

[٧] قوله تعالي ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

صح عند ابن جرير (١٩ / ٧١) وغيره عن مجاهد أنه قال : ﴿ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أنه حجاب بين الموت والرجوع إلى الدنيا وصح عنده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال : البرزخ ما بين الموت إلى البعث وثبت عنده عن الضحاك بن مزاحم أنه قال البرزخ ما بين الدنيا والآخرة :

قال ابن كثير في « تفسيره » في قوله : ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ ﴾ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾ [إبراهيم : ١٦] ،وقال تعالى : ﴿ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث كما جاء في الحديث « **فلا يزال معذباً فيها** » أي: في الأرض.

وقال ابن القيم في « الروح » ص ٩٠ : ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو مابين الدنيا والآخرة وهذا البرزخ يشرف أهله على الدنيا والآخرة ، وسمي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق ، فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السبع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله ، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفيتهما ، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار ، وصار رماداً وذرى بعضه في البحر ، وبعضه في البر ، في يوم شديد الريح ، أنه ينجو من ذلك ، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك ، فأمر الله البحر فجمع ما فيه ، وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال : قم فإذا هو قائم بين يدي الله فسأله ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : خشيتك يارب وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه [والحديث في الصحيح] فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال حتي لو علق الميت على رؤس الأشجار في مهاب الريح لأصاب جسده من عذاب البرزخ وروحه نصيبه وحظه فيجعل الله النار على هذا برداً وسلاماً ، والهواء على ذلك ناراً وسموماً فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها ، وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصي عليه منها شيء أراده، بل هي طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته أ هـ .

[٨] قال تعالى : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) ﴾ [غافر : ٤٥ – ٤٦] .

قال الإمام ابن كثير في « تفسيره » لهذه الآية : هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السُّنَّة على عذاب البرزخ في القبور ا. هـ .

ثم استطرد في ذكر ما يؤيد هذا القول من أدلة السُّنَّة وقال في أثنائه : وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً . ووجدتني زبرت على نسختي من التفسير في هذا الموضع عن شيخنا مقبل رحمه الله أثناء تدريسه لنا هذا السفر المبارك ما لفظه : واجمع السلف على وجود عذاب القبر وأنكر ذلك بعض المعتزلة لأنهم لايؤمنون بالمغيبات ا. هـ .

تواتر الأحاديث في عذاب القبر :

وقد تواترت الأحاديث عن النَّبي ﷺ في عذاب القبر والتعوذ منه [١] .

[٤٠] وفي « الصحيحين [٢] » عن عائشة أنها سألت النَّبي ﷺ عن عذاب القبر قال : « **نعم عذاب القبر حق** » .

قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد ذلك صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر .

[٤١] وفيهما [٣] عن عائشة رضي الله عنها أن النَّبي ﷺ قال : « **إني رأيتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال** »، قالت عائشة : فكنت أسمع رسول الله ﷺ بعد ذلك يتعوذ من عذاب القبر .

[٤٢] وفي « صحيح مسلم » [٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : « **اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتننة المسيح**

---

[٩] قال تعالى : ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)** ﴾ [الفجر : ٢٧ – ٣٠] . انظر ما قال ابن القيم في « الروح » ص ٩٤ .

[١٠] قال تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)** ﴾ .

[الواقعة : ٨٣ – ٩٦] .

استدل المصنف بهذه الاية كما سيأتي على نعيم القبر ، وانظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية وانظر ما سيأتي نقله في التعليق « فصل في نعيم القبر » إن شاء الله .

(١) وهذا التواتر قد نقله غير واحد من أهل العلم منهم ابن القيم في « الروح » حيث قال ص ٩٧ : أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير كثيرة ، وقال ابن كثير في « تفسيره » بنحوه ، وابن حزم في « الأصول والفروع » ص ٨٢ ، والإمام الشوكاني كما في الفتح الرباني (٢ / ٦١٩ – ٦٢٠) .

(٢) البخاري (١٣٧٢) ومسلم (٥٨٦) .

(٣) البخاري (١٠٤٩) ومسلم (٩٠٣) .

(٤) مسلم (٥٩٠) .

الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » .

[٤٣] وفيه [١] أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال** » .

[٤٤] وفي « صحيح مسلم » [٢] عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بينما النَّبي صلى الله عليه وسلم في حائط بني النجار على بغلة له ، ونحن معه إذ حادت به ،فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال : « **من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟** » ، فقال رجل : أنا، قال : «**متى مات هؤلاء ؟**» ، قال : ماتوا في الإشراك ، فقال : « **إن هذه الأمة تُبتلي في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه** » ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « **تعوذوا بالله من عذاب القبر** » ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر، قال : «**تعوذوا بالله من عذاب القبر** » ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر، قال : « **تعوذوا بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن** » ، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : « **تعوذوا بالله من فتنة الدجال** » ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال .

[٤٥] وفي « صحيح مسلم » [٣] عن أنس رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال : « **لولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر** » .

[٤٦] وفي « الصحيحين » [٤] من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : خرج النَّبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال : « **يهود تعذب في قبورها** » .

---

(١) بل هو أيضاً في البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨) .
(٢) مسلم (٢٨٦٧) .
(٣) مسلم (٢٨٥٨) .
(٤) البخاري (١٣٧٥) ومسلم (٢٨٦٩) .

[٤٧] وخرج الإمام أحمد وأبو داود [١] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ومعه عود ينكت به الأرض فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال : « **استعيذوا بالله من عذاب القبر ـ مرتين أو ثلاثاً ـ** » . وذكر الحديث بطوله .

[٤٨] وخرج الإمام أحمد [٢] من حديث أبي الزبيري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال دخل رسول الله ﷺ نخلاً لبني النجار فسمع أصوات رجال من بني النجار ماتوا في الجاهلية يعذبون في قبورهم فخرج رسول الله ﷺ فزعاً فأمر أصحابه أن يتعوذوا بالله من عذاب القبر .

[٤٩] وخرجه[٣] ـ أيضاً ـ من حديث أبي سفيان عن جابر عن أم مبسر قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية ، فسمعهم يعذبون فخرج وهو يقول : « **استعيذوا بالله من عذاب القبر** » قلت : يا رسول الله إنهم ليعذبون في قبورهم ؟ ، قال : « **نعم عذابًا تسمعه البهائم** » .

بعض أسباب عذاب القبر :

[٥٠] وفي « الصحيحين » [٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النَّبي ﷺ مر بقبرين فقال : «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير** [٥] **أما أحدهما فكان لايستبريء**

(١) **صحيح** تقدم برقم (٣) .

(٢) **صحيح** لغيره أخرجه أحمد (٣ / ٢٩٥ – ٢٩٦) . وله شاهد من حديث أنس أخرجه النسائي (٤ / ١٠٢) وأحمد (٣ / ١٠٣) وسنده صحيح ، ويشهد له حديث زيد بن ثابت المتقدم .

(٣) ظاهر سنده الصحة ، ولكن رجح الدارقطني أن الصواب حديث جابر السابق أخرجه أحمد (٦ / ٣٦٢) وغيره . وذكر الحديث الدارقطني في « العلل » وقال بعد ذكره للخلاف بين الطريقتين السابقتين : « وقول أبي الزبير عنه أشبه بالصواب » .

(٤) البخاري (٢١٦) ومسلم (٢٩٢) .

(٥) قال الخطابي في « معالم السُنن » (١ / ١٩) : « معناه أنهما لم يعذبا في أمر كان يكبر عليهما ، أو يشق فعله لو أراد أن يفعلاه ، وهو التنزه من البول وترك النميمة ، ولم يرد أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة في حق الدين وأن الذنب فيهما هين سهل » .

من البول ، وأما الآخر كان يمشي بالنميمة » ، ثم أخذ جريدة رطبة ، فشقها باثنين ثم غرز على كل قبر منهما واحدة ، قالوا : لم فعلت هذا يارسول الله ؟ ، قال : « **لعله يخفف عنهما مالم ييبسا** » [١] . وقد روي هذا الحديث عن النَّبي ﷺ من وجوة متعددة .

[٥١] وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة [٢] من حديث عبد الرحمن ابن حسنة سمع رسول الله ﷺ يقول : « **ألم تعلموا ما لقى صاحب بني إسرائيل ؟ كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول ، فنهاهم فعذب في قبره** » .

[٥٢] وخرج الإمام أحمد وابن ماجة [٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : «**أكثر عذاب القبر من البول** » . وروى موقوفاً عن أبي هريرة .

[٥٣] وخرج البزار والحاكم [٤] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال : « **إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا منه** » .

---

(١) وهذا خاص بالنبي ﷺ وليس لأحد أن يفعله بعده فإنه ليس هناك أحد يدري بما يجرى على الميت داخل القبر وعلم النَّبي ﷺ ذلك بالوحي وهو معجزة من معجزاته ، وخصيصة من خصائصه ﷺ، وانظر « الفتح » (١ /٣٢٠ – ٣٢١) .

(٢) **صحيح على شرط الشيخين** : أخرجه أحمد (٤ /١٩٦) وأبو داود (٢٢) والنسائي (١ /٢٦–٢٧) وغيرهم وقال الحافظ في « الفتح » (١ /٣٢٨) حديث صحيح صححه الدارقطني وغيره . ا هـ . وصححه الشيخ الألباني وشيخنا في « الصحيح المسند » (٨٩٥).

(٣) الصحيح وقفه ؛ وقال أبو حاتم كما في « العلل » (١٠٨١) : حديث باطل يعني : مرفوعًا أ هـ . ورجح الدارقطني وقفه . أخرجه أحمد (٢ /٣٢٦) وابن ماجة (٣٤٨) وقال الدارقطني في « العلل » (١٥١٨) : يرويه الأعمش واختلف عنه فأسنده أبو عوانة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ، وخالفه ابن فضيل فوقفه : يشبه أن يكون الموقوف أصح أ هـ وصوب في « السُنن » (١ /١٢٨) إرساله من وجه آخر عن أبي هريرة .

(٤) **حسن لغيره** : أخرجه البزار كما في « كشف الاستار » (١ /١٢٩) والحاكم (١ /١٨٤) والدارقطني (١ /١٢٨) وقال «لا بأس» ، به وعزاه الهيثمي في « المجمع » (١ /٢٠٧) إلى البزار وقال : فيه أبو يحيى القتات وثقه يحيى بن معين في رواية وضعفه الباقون » ا. هـ . قلت : هو لين الحديث ، ولكن له شاهد عن أنس عند الدارقطني (١ /١٢٧) وقال : المحفوظ مرسل ، ويشهد له أيضاً الموقوف السابق عن أبي هريرة فيصير الحديث حسناً لغيره في أدنى مراتب الحسن وانظر الإرواء (٢٨٠) .

وقد ذكر بعضهم : السر في تخصيص البول والنميمة بعذاب القبر :

وهو أن القبر أول منازل الآخرة ،وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب .

والمعاصي التي يعاقب عليها الناس يوم القيامة نوعان :

■ حق الله .

■ وحق العبيد .

وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ، ومن حقوق العباد : الدماء .

وأما البرزخ فقضى فيه في مقدمات هذين الحقين ووسائلهما .

■ فمقدمة الصلاة : الطهارة من الحدث والخبث .

■ ومقدمة الدماء: النميمة ، والوقيعة في الأعراض، وهما أيسر أنواع الأذي، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما (١) .

---

(١) وقال ابن القيم « الروح » ص ٩٥ – ٩٧ :
المسألة التاسعة : وهي قول السائل ما الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور ؟ .
جوابها من وجهين : مجمل ومفصل :
■ **أما المجمل** : فانهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه ،فلا يعذب الله روحا عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه أبداً ، فان عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده ، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب.
■ **وأما الجواب المفصل : فقد : « أخبر النَّبي ﷺ عن الرجلين الذين رآهما يعذبان في قبورهما يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس ويترك الآخر الاستبراء من البول** » فهذا ترك الطهارة الواجبة ، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقا ، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا ، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيها على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذاباً .
وقد تقدم حديث سمرة في صحيح البخاري : « في تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق ، وتعذيب من يقرأ ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار ، وتعذيب الزناة والزواني ، وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النَّبي في البرزخ » .

وتقدم حديث أبي سعيد : وعقوبة أرباب تلك الجرائم ، فمنهم من بطونهم أمثال البيوت ، وهم على سابلة آل فرعون وهم أكلة الربا ومنهم من تفتح أفواهم فَيُلْقَمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم وهم أكلة أموال اليتامى، ومنهم المعلقات بثديهن وهن الزواني . ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم وهم المغتابون . ومنهم من لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم وهم الذين يغمرون أعراض الناس .
قد أخبرنا النَّبي ﷺ عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم أنها تشتعل ناراً في قبره هذا . وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره ما لاحق له فيه . فعذاب القبر عن معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله ، فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع في الفتنة والداعي إلى البدعة والقائل على الله ورسوله مالا علم له به ، والمجازف في كلامه وآكل الربا وآكل أموال اليتامى وآكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما ، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد وشارب المسكر . وآكل لقمة الشجرة الملعونة ، والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر ، وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه والمحلل والمحلل له ، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ، ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم ، والحاكم بغير ما أنزل الله ، والمفتي بغير ما شرعه الله . والمعين على الإثم والعدوان ، وقاتل النفس التي حرم الله ، والملحد في حرم الله والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سُنَّة رسول الله ﷺ والنائحة والمستمع إليها . ونواحوا جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم ، والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرج ، والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه ، والجبارون والمتكبرون والمراؤون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف ، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم ، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، والذي إذا خوفته بالله وذكرته به لم يرعو ولم ينزجر ، فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه ، والذي يهدي بكلام الله ورسوله فلا يهتدي ولا يرفع به رأسا ، فإذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطيء عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه ، والذي يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استثقل به ، فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطرب وود أن المغني لايسكت ، والذي يحلف بالله ويكذب . فإذا حلف بالبندق أو بريء من شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب، والذي يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه واضرابه وهو المجاهر ،والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك ، والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق اتقاء شره وفحشه ، والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً ، ولا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج ، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها ، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوه . ولا يبالي بما حصل من المال من حلال أو حرام . ولا يصل رحمه ولا يرحم المسكين ، ولا الأرملة ولا اليتيم ، ولا الحيوان البهيم ، بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، ويرائي للعالمين ، ويمنع الماعون ، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه وبذنوبهم عن ذنبه . فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها .
ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات ، وعذاب ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات ، وفي باطنها الدواهي والبليات تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها ، ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها ، تالله لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالا ، ونادت يا عمار الدنيا لقد عمرتم داراً موشكة بكم زوالاً ، وخربتم داراً أنتم

مما يُجير من عذاب القبر :

■ الجهاد في سبيل الله فإن المجاهد والمرابط في سبيل الله كل منهما بذل نفسه وسمح بنفسه لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر وليذب عن إخوانهم المؤمنين عدوهم .

[٥٤] وفي الترمذي [١] عن المقدام بن معد يكرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال : « **للشهيد عند الله سبع خصال : يُغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر . . .** » وذكر بقية الحديث .

مسرعون إليها انتقالا ، عمرتم بيوتا لغيركم منافعها وسكناها ، وخربتم بيوتا ليس لكم مساكن سواها ، هذه دار الاستباق ومستودع الأعمال وبذر الزرع ، وهذه محل للعبر رياض من رياض الجنة أو حفر من حفر النار .

(١) مضطرب من حديث المقدام : أخرجه الترمذي (١٦٦٣) وابن أبي عاصم في « الجهاد » (٢٠٤) وغيرهما من طريق إسماعيل بن عياش قال حدثنا بحير عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد كرب عن النَّبي ﷺ .
وقد رواه إسماعيل بن عياش على عدة أوجه.
وقد ذكر ابن أبي حاتم الحديث في « العلل » (٩٧٦) لأبيه هذا الحديث من رواية نعيم بن حماد فقال أبوه : رواه بقية عن بحير عن خالد بن معدان قال : قلت : لأبي : أيهما الصحيح ؟. فقال: كان ابن المبارك يقول : إذا اختلف بقية وإسماعيل فبقية .أحب إلى ، قلت : فأيهما أشبه عندك ؟. قال بقية أحب إلينا من إسماعيل ، فأما الحديث فلا يضبط أيها الصحيح . ا هـ . قلت : وفي قول أبي حاتم : « فأما الحديث فلا يضبط أيها الصحيح » إشارة إلى اضطراب الحديث وعدم ضبطه .

وهو كما قال رحمه الله فقد اضطرب فيه إسماعيل بن عياش فرواه على عدة أوجه منها :

[١] رواه عبد الرزاق في« المصنف » (٩٥٥٩) وسعيد بن منصور في « سُننه » (٢٥٦٢) كلاهما وتابعهما جماعة رووه عن إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد كرب .

[٢] ورواه سعيد بن منصور في « سننه » (٢٥٦٣) وغيره عن إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد ابن معدان عن كثير بن مرة عن عبادة بن الصامت به .

[٣] ورواه عبد الوهاب بن نجدة كما عند ابن أبي عاصم في « الجهاد » (٢٠٥) عن إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف الرحبي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي معانق الأشعري عن أبي مالك الأشعري به .

[٤] ورواه الحكم بن نافع أيضاً كما عند الطبراني في « مسند الشامبين » (١١٦٣) عن إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة ، عن عقبة بن عامر موقوفاً .

ولكن قد أخرج أبو نعيم في « معرفة الصحابة » برقم (٥٧٢٣) عن قيس الجذامي – وهو صحابي – أن النَّبي ﷺ قال : « **للقتيل عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفقة دمه كل خطيئة ، ويجار من عذاب القبر ، ويحلي عليه حلية الإيمان ، ويري مقعده من الجنة ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ويزوج من الحور العين** » وسنده حسن في أقل الأحوال وأنظر « الشفاعة » لشيخنا مقبل رحمه الله رقم (١٤٨) .

[٥٥] وفي « صحيح مسلم [١] عن سلمان عن النَّبي ﷺ قال : «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان** » .

[٥٦] وخرَّج الترمذي وأبو داود [٢] من حديث فضالة بن عبيد عن النَّبي ﷺ معناه أيضاً .

[٥٧] وخرج النسائي [٣] من حديث راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النَّبي ﷺ : أن رجلاً قال : يارسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد ، قال : « **كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة** » [٤] .



---

(١) مسلم (١٩١٣) .

(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذي (١٦٧١) وأبو داود (٢٥٠٠) وأحمد (٦ / ٢٠) وانظر مسند أحمد التعليق على رقم (١٧٣٥٩) طبع مؤسسة الرسالة .

(٣) ظاهره الحسن أخرجه النسائي (٤ / ٢٩) وصححه العلامة الألباني .

(٤) قال الحافظ ابن القيم في الروح ص ١٤٠ : معناه والله أعلم قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف على رأسه فلم يفر فلو كان منافقاً لما صبر ببارقة السيف على رأسه فدل على أن إيمانه هو الذي حمله على بذل نفسه وتسليمها له وهاج من قلبه حمية الغضب لله ورسوله وإظهار دينه وإعزاز كلمته ، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره .

فصــل

في ذكر أنــواع من عذاب القبر

وقد ورد في عذاب القبر أنواع :

[١] منها الضرب إما بمطارق من حديد أو غيره . وقد سبق ذلك في أحاديث متعددة .

[٢] تسليط الحيات والعقارب . وقد سبق ذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[٣] ومنها ضرب رأس الميت بحجر وشق شدقه ونحو ذلك ، وقد ورد ذلك :

[٤] من حديث سمرة بن جندب عن النَّبي ﷺ قال : « **رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة .فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه ، فإذا ضربه تدهده الحجر ، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع على هذا حتى يلتئم رأسه ، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه ، قلت : من هذا ؟ ، قالا : انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور اعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته ناراً ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون ، فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء ، فقلت ماهذا ؟ قالا : انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى شاطيء النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر ، فإذا أراد أن يخرج ، رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه حجراً رجع كما كان ، قلت : ماهذا ؟** . قالا لي : انطلق فانطلقنا ، فذكر الحديث وفيه : «**قلت طوفتماني الليلة ، فأخبراني عما رأيت ، قالا :**

نعم أما الرجل الذي رأيته يشق شدقه فكذاب ، يحدث بالكذب ، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيصنع به ذلك إلى يوم القيامة ، وأما الذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ، ولم يعمل فيه بالنهار ، يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذي رأيت في النقب فهم الزناة ، وأما الذي رأيت في النهر فآكل الربا » وذكر الحديث بطوله خرجه البخاري [1] .

[٥] ومنها تضييق القبر على الميت حتى تختلف فيه أضلاعه ، وقد سبق ذلك في أحاديث متعددة .

■ وقد ورد ما يدل على أن التضييق عام للمؤمن والكافر وصرح بذلك طائفة من العلماء منهم ابن بطة وغيره .

[٥٨] فعن عائشة رضي الله عنها عن النَّبي ﷺ قال : « **إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا منها سعد بن معاذ** » ، خرجه الإمام أحمد [2] .

[٥٩] وخرَّج النسائي [3] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال :« **هذا الذي تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه** » .

---

(١) البخاري رقم (١٣٨٦ و٧٠٤٧) .

(٢) **الحديث صحيح** : الحديث في سنده اختلاف منه ما أخرجه أحمد (٦ / ٥٥) من طريق محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن إنسان عن عائشة .

وخالف محمد بن جعفر يحيى بن سعيد عند أحمد ووجه بن جرير عند إسحاق بن راهويه (١١١٤) فروياه عن شعبه عن سعد عن نافع عن عائشة . وخالفهم آدم بن أبي إياس عند الطبرى في « تهذيب الآثار » (٨٩٧) (مسند عمر) وعلى بن الجعد في (الجعديات) (١٥٦٦) وعبد الرحمن بن زياد ويحيى بن أبي بكير عند الطحاوي في « شرح المشكل » (٢٧٤) و (٢٧٥) وعبد الملك بن الصباح عند ابن حبان (٣١١٢) وغيرهم رووه عن شعبه عن سعد عن نافع عن امرأة ابن عمر صفية عن عائشة وصوب الدارقطني هذا الوجه في « العلل » وهو كما قال رحمه الله ، وهو إسناد صحيح وصفية زوجة ابن عمر هي بنت أبي عبيد الثقفية ثقة . وانظر الصحيحة (١٦٩٥) .

(٣) سنده صحيح أخرجه النسائي (٤ / ١٠٠ – ١٠١) وصححه العلامة الألباني .

[٦٠] وخرج الإمام أحمد والنسائي [١] عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لسعد وهو يُدفن : « **سبحان الله لهذا العبد الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء ، شدد عليه ثم فرج عنه** » .

[٦١] وخرج الإمام أحمد [٢] عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « **لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه** » .

هل يفتر العذاب عن العبد في قبره :

قد قيل : إن العذاب يفتر عن أهل القبور فيما بين النفختين يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ يعني : تلك الفترة التي لا عذاب فيها [٣] .

---

(١) **صحيح** لغيره أخرجه أحمد (٣ / ٣٢٧) والنسائي (٤ / ١٠٠) من طريق معاذ بن رفاعة عن جابر ، وهو منقطع بينه وبين جابر لكن يشهد له ما تقدم .

(٢) **حسن** أخرجه أحمد (٣ / ٣٦٠) .

(٣) وبهذه الآية التي ذكرها المؤلف احتج نفاة عذاب القبر من الزنادقة والمبتدعة الضلال وأحب أن أذكر لك أقوال علماء التفسير حول هذه الاية حتى تندفع شبهتم .

فالقول الأول : أنه قبل البعث بفترة يدفع العذاب عن أهل القبور ويهجعون هجعة إلى النفخة الثانية .

وهذا نقل عن أُبي بن كعب وصح عند ابن جرير عن خيثمة وقتادة بن دعامة السدوسي ، وعزاه البغوي إلى ابن عباس وهو ترجيح المصنف .

القول الثاني : أنه لما بعثوا من قبورهم وعاينوا هول المحشر وشدته وأصبحو في سكرة قالوا : ﴿ **يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا** ﴾ قال ابن كثير : وهذا لاينفى عذابهم في قبورهم لأنه بالنسبة إلى مابعده في الشدة كالرقاد .

قال الألوسي : سموا ذلك مرقداً مع علمهم بما كانوا يقاسون فيه من العذاب العظيم لما شاهدوه فكان ذلك مرقداً بالنسبة إليه .

قال القرطبي : قال أهل المعاني : إن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب صار ماعذبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم .

قال مجاهد : فقال لهم المؤمنون ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ** ﴾ قال قتادة فقال لهم من هدي الله وقال الفراء فقال لهم الملائكة . قال النحاس وهذه الأقوال متفقة لأن الملائكة من المؤمنين وممن هدي الله عز وجل ، وعلى هذا يتأول قول الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)** ﴾ .

وقيل : « إن الكفار لما قال بعضهم لبعض » ﴿ **مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا** ﴾ صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به ثم قالوا : ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ** ﴾ « فكذبنا به » .

وقد يرفع عذاب القبر أو بعضه في بعض الأشهر الشريفة (١) .

= **القول الثالث :** قال الألوسي : ﴿ **يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا** ﴾ أي رقادنا على أنه مصدر ميمي ، أو محل رقادنا على أنه اسم مكان ويراد بالمفرد الجمع أي مراقدنا وفيه تشبيه الموت بالرقاد من حيث عدم ظهور الفعل والاستراحة من الأفعال الاختيارية ، وهذا لا ينافي القول الأول لأنه عندما أصابهم النوم قبل البعث فلما فزعوا من القبور قالوا من بعثنا من مرقدنا فسموه مرقداً لهم لأنهم رقدوا فيه تلك الفترة الأخيرة التي قبل البعث ، وكذا القول الثالث لاينافي الأول أو الثاني في أصل إثبات عذاب القبر إلا أنهم لا يقولون قاموا من نومة ناموها ولكنهم شبهوا العذاب الذي كانوا يقاسونه بالمرقد أمام ما شاهدوه .

إذاً الأقوال الثلاثة متفقة على وجود عذاب القبر فيه ولكن الخلاف فقط هل كان البعث بعد نومة لهم مؤخراً قبل البعثة من القبور التي عذابهم فيها مباشرة .

قال الشنقيطي : والتحقيق أن هذا – يعني قوله تعالى ﴿ **يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا** ﴾ قول : الكفار عند البعث والآية تدل دلالة لا لبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث كما قاله غير واحد وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان : ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ كما شاهدتموه عياناً مصادر هذا « تفسير الطبري » (٢٠ / ٥٣٢ – ٥٣٣) و« الجامع لأحكام القرآن » (١٦ / ٤١ – ٤٢) للقرطبي « تفسير ابن كثير » (عند هذه الآية) و«إرشاد العقل السليم » لأبي السعود (٤ / ٥٠٩) «وروح المعاني » للألوسي (١٣ / ٤٦) و « فتح القدير » (٤ / ٣٦٢) و « معالم التنزيل » للبغوي (٤ / ٥٤٦) و « أضواء البيان » (٦ / ٤٨٩ – ٤٩٠) .

(١) كذا قال المؤلف وليس هناك دليل من الكتاب ولا من صحيح السُّنَّة يدل على ذلك ولكن قال ابن القيم في « الروح » ص ١١٢ : المسألة الرابعة عشرة وهي قوله عذاب القبر دائم أم منقطع ؟ ، **جوابها أنه نوعان** :

النوع الأول : نوع دائم ، سوى ما ورد في بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين فإذا قاموا من قبورهم قالوا : ﴿ **يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا** ﴾ ويدل على دوامه قوله تعالى : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ ويدل عليه أيضاً ما تقدم من حديث سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النَّبي ﷺ ، وفيه « **فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة** » وفي حديث ابن عباس في قصة الجريدتين « **لعله يخفف عنهما مالم ييبسا** » فجعل التخفيف مقيداً برطوبتهما فقط، وفي « الصحيح » في قصة الذي لبس البردين وجعل يمشي ويتبختر «فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » ، وفي حديث البراء بن عازب : «**ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة** » ، وفي بعض طرقه ، ثم يخرق له خرقاً إلى النار ، فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة .

النوع الثاني : إلى مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج » .

فصل

في نعيم القبر

أما نعيم القبر فقد دل عليه قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [١] . كما سبق .

وقد تقدم في حديث البراء وغيره ذكر بعض نعيم القبر .

فصل

وقد كشف لما يشاء من عباده من عذاب أهل القبور ونعيمهم

وقد وقع بعض ذلك في زمن النَّبي ﷺ [٢] ووقع بعده كثيراً .

[٦٢] روى ابن أبي الدنيا [٣] عن الحميد بن محمود المعولي قال : كنت

---

(١) **قال ابن كثير في « تفسيره » لهذه الآية بعد ذكره لكاملها :** هذه الأحوال الثلاثة – التي في الآية – هي أحوال الناس عند احتضارهم إما أن يكون من المقربين ، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين . وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدي الجاهلين بأمر الله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ أي : المحتضر ﴿ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ » وهم الذين فعلوا الواجبات ، والمستحبات وتركوا المحرمات ، وبعض المباحات ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ أي : فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ، وقوله ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) ﴾ أي : وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضَّالين عن الهدي ﴿ فَنُزُلٌ ﴾ أي: ضيافة ﴿ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ وهو المذاب الذي يُصهر به ما في بطونهم والجلود﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ أي: وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جوانبه » .

قال ابن القيم في « الروح » ص ٩٤ : فذكر ههنا أحكام الروح عند الموت وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر وقدم هذا على هذا تقديم الغاية للعناية لأنها أهم وأولى بالذكر وجعلهم عند الموت أقسام ثلاثة كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام » .

(٢) لم يثبت في ذلك شيء مما ذكره المصنف .

(٣) سنده حسن ؛أخرجه ابن أبي الدنيا في « كتاب القبور » (١٢٨) والبيهقي في« الشعب » (٤ / ٣٣٤) واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » (٦ / ١١٤٢) رقم (٢١٥١) وأخرج (ابن ابي الدنيا ١٢٩) بسند حسن عن أبي إسحاق صاحب الشاة قال دعيت إلى ميت لأغسله ، فلما كشفت الثوب عن وجهه إذا بحية قد تطوقت على حلقه ، فذكر من عظمها قال : فخرجت ولم أغسله قال : ذكروا أنه كان يشتم السلف .

جالساً عند ابن عباس فأتاه قوم فقالوا : إنا خرجنا حجاجاً ومعنا صاحب لنا حتى أتينا ذلك الصفاح فمات فهيأناه ثم انطلقنا فحفرنا له قبراً ، ولحدنا له لحداً ، فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد فحفرنا له آخر فإذا به قد ملأ له . فحفرنا آخر فإذا به قد ملأه فتركناه وأتيناك ، فقال ابن عباس : – رضي الله عنهما – ذلك عمله الذي كان يعمل به انطلقوا فادفنوه في بعضها ، فلما رجعنا قلنا لامرأته : ما كان عمله ويحك ؟ ، قالت : كان يبيع الطعام فيأخذ كل يوم قوت أهله ، ثم يقرظ القصب مثله فيلقيه فيه .

[٦٣] وقال أبو الحسن بن البراء [١] حدثني عبد الله بن محمد المدني قال : كان لي صديق فقال : خرجت إلى ضيعتي ، فأدركني العصر إلى جانب مقبرة فصليت العصر قريباً منها ، فبينما أنا جالس ، إذ سمعت من ناحية القبر صوتاً وأنيناً ، فدنوت من القبر ، فإذا هو يقول : آه كنت أصوم كنت أصلي فاصابتني قشعريرة فدعوت من حضرني ، فسمع كما سمعت ، ومضيت إلى ضيعتي ، ورجعت فصليت في موضعي الأول ، وصبرت حتى غابت الشمس وصليت المغرب، ثم استمعت على ذلك القبر، فإذا هو يئن: آه كنت أصوم كنت أصلي ، فرحت إلى أهلي فحممت ومرضت شهرين .

[٦٤] وذكر ابن فارس الليثي صاحب أبي الفرج بن الجوزي في « تاريخه » أنه في سنة تسعين وخمسمائة وجد ميتاً ببغداد بظاهر باب البصرة وقد بلى ولم يبق غير عظامه – وفي يديه ورجليه ضباب حديد وضرب فيهما مسماران أحدهما في سرته والآخر في جبهته . وكان هائل الخلقة غليظ العظام ، وكان سبب ظهوره زيادة ماء كشفت تلاً كان يعرف بالتل الأحمر على ميلين من سور باب البصرة القديم .

[٦٥] وذكر شيخنا أبو عبد الله بن القيم – رحمه الله تعالى – في كتاب

(١) في كتابه « الروضة » فإن المصنف ينقل منه كثيراً » .

« الروح »[١] حدثنا أبو عبد الله محمد بن سنان السلامي التاجر ـ وكان من خيار عباد الله ـ قال : جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد ، فباع مسامير صغاراً المسمار برأسين فأخذهما الحداد فجعل يحمي عليها فلا تلين معه حتى عجز عن ضربها فطلب الذي باعها عليه ؟ ، فوجده فقال : من أين لك هذه المسامير ؟ ، قال : فلم يزل حتى أخبره أنه رأى قبراً مفتوحاً ، وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير، قال : فعالجتها على أن أخرجها ، فلم أقدر ، فأخذت حجراً فكسرت عظامه وجمعتها ، قال : وأنا رأيت تلك المسامير ، قلت : وكيف وجدت صفتها قال : المسمار صغير برأسين .

قلت : وهذه حكاية مشهورة ببغداد وقد سمعتها وأنا صبي ببغداد وهي مستفيضة بين أهلها » .

[٦٦] قال شيخنا وحدثنا أبو عبد الله محمد بن الوزير الحراني أنه خرج من داره بآمد بعد العصر إلى بستان ، فلما كان قبل غروب الشمس توسط القبور فإذا قبر منها وهو جمرة نار ، مثل كور الحداد ، زجاج والميت في وسطه قال : فجعلت أمسح عيني أنا نائم أم يقظان ، ثم التفت إلى سور المدينة فقلت : والله ما أنا بنائم ، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل فدخلت البلد وسألت عن صاحب القبر فإذا هو مكاس قد توفي في ذلك اليوم[٢] .

---

(١) « الروح » (ص ٨٤ – ٨٥) .

(٢) قال ابن القيم بعد ذكره لجملة من الحكايات في كتابه « الروح » ص ٨٦ : وهذه الأخبار وأضعاف أضعافها مما لا يتسع لها الكتاب مما أراه الله سبحانه لبعض عباده من عذاب القبر ونعيمه عياناً . وأما رؤية المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة أسفار . ومن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب « المنامات » لابن أبي الدنيا وكتاب « البستان » للقيرواني ، وغيرهما من الكتب المتضمنة لذلك ، وليس عند الملاحده والزنادقة إلا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه .

فصـــل
في ذكر ألم الموت

وقد ورد أن الميت يجد ألم الموت مادام في قبره ولعل ذلك خاص ليس بعام .

[٦٧] وخرج أبو يعلى الموصلي [١] من رواية الربيع بن سعد الجعفي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **حدثوا عن بني إسرائيل ، فإنه كان فيهم الأعاجيب** » .

ثم أنشأ يحدث قال :

خرجت رفقة مرة يسيرون في الأرض فمروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض : لوصلينا ركعتين ثم دعونا الله عز وجل لعله أن يخرج لنا بعض أهل هذه المقبرة فيخبرنا عن الموت ، قال : فصلوا ركعتين ، ثم دعوا الله ، فإذا هم برجل خلاسي [٢] قد خرج من قبره ، ينفض رأسه ، بين عينيه أثر السجود فقال : يا هؤلاء ما أردتم إلى هذا لقد مت منذ مئة سنة فما سكنت عني مرارة الموت إلى ساعتي هذه فادعوا الله أن يعيدني كما كنت » وهذا إسناد جيد .

الربيع هذا : كوفي ثقة قاله ابن معين .

---

(١) **صحيح** : وقوله « ثم أنشأ ... إلى آخره مدرج » . لم أجده في « المطبوع من مسند أبي يعلى » وقد عزاه إليه أيضاً « البوصيري » في اتحاف الخيرة » (٢٥١١) .

وقال البوصيري في الإتحاف : رجاله ثقات . ا هـ . قلت : وهو متصل فقد أثبت سماع عبد الرحمن من جابر ابن أبي حاتم في « الجرح (٥ / ٢٤٠) فقال : روى عن عمر مرسل وعن جابر بن عبد الله متصل » هـ . والمثبت مقدم على النافي وأخرجه وكيع في « الزهد » (٥٦) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١١٥٤) وأحمد في « الزهد » (١٦ – ١٧) من طريق وكيع به

وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩ / ٦٢) والبزار كما في كشف « الاستار » (١٩٢) من طريق وكيع به مقتصراً على أوله وصححه الشيخ الألباني في « الصحيحة » (٢٩٢٦) .

(٢) أي : أسمر اللون ولد بين أبيض وأسود أو العكس ، انظر اللسان و « النهاية » مادة : خلس .

لكن قولـــه : « ثم أنشأ يحدث ... » إلى آخــر القصة ، إنما هي حكاية عبد الرحمن بن سابط .

كذا روى ابن عيينه عن الربيع عن عبد الرحمن بن سابط من قوله .

وخرَّج البزار في « مسنده » أول الحديث ولم يذكر فيه قصة الرفقة وهي مدرجة في الحديث كما بينا .



فصـــل
في بعض ماشوهد من نعيم أهل القبر

وما شوهد من نعيم القبر وكرامة أهله فكثير أيضاً وقد سبق في الباب: الأول، والرابع بعض ذلك .

[٦٨] وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في « تاريخه » (١) أن في سنة ست وسبعين ومائتين : « انفرج تل في أرض البصرة ، يعرف تل شقيق ، عن سبعة أقبر ، في مثل الحوض ، وفيها سبعة أنفس ، أبدانهم صحيحة ، وأكفانهم يفوح منها رائحة مسك ، أحدهم شاب له جمة ، وعلى شفتيه بلل ، كأنه شرب ماء ، وكأن عينيه مكحلتان ، وله مذبة في خاصرته وأراد بعض من حضر أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قوي كشعر الحي .

[٦٩] وروى ابن أبي الدنيا (٢) عن يونس بن [أبي الفرات] (٣) قال : حفر رجل قبراً فقعد يستظل فيه من الشمس فجاءت ريح باردة فأصابت ظهره فإذا [ثقب] (٤) صغير، فوسعه بإصبعه، فإذا هو ينظر مد البصر،وإذا شيخ مخضوب، كأنما رفعت المواشط يديها عنه ، وقد بقى من أكفانه على صدره شيء » .

■ وأما من شوهد بدنه طرياً صحيحاً ، وأكفانه عليه صحيحة بعد تطاول المدة من غير الأنبياء ، فكثير جداً (٥) ، ونحن نذكر من أعيانهم جماعة .

[٧٠] قال أبو القاسم البغوي : حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا عبد الجبار

---

(١) « المنتظم » (١٢ / ٢٧٣) طبع دار الكتب العلمية .

(٢) بسند صحيح في « القبور » (٢٣) .

(٣) في « المطبوع » « ابن أبي العرب » والصواب المثبت كما في « القبور » وكما هو في ترجمة يونس .

(٤) في « المطبوع » قبر وهو خطأ « والصواب المثبت كما في القبور » .

(٥) وذلك إلى زماننا هذا فإنه في هذا الزمان الذي كثر فيه نبش القبور ـ والعياذ بالله ـ نُحدث عن جماعة ممن يُنبش قبره وجسمه طريًا أو قريبًا من ذلك ، بالرغم من تطاول العهد بدفنه .

ابن الورد سمعت أبا الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول : كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجري عيناً إلى أحد ، فكتب إليه عامله : إنها لا تجري إلا على قبور الشهداء فكتب إليه أن انفذها ! ، قال : سمعت جابراً يقول :رأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوام حتى أصابت المسحاة ! قدم حمزة فانبعث دماً » [(١)] .

[٧١] وروى مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريين ثم السلميين كان قد حفر السيل قبرهما ، وكان قبرهما مما يلي السيل وكانا في قبر واحد، وهما ممن استشهد يوم أُحد فحفر عنهم ليغير من مكانهما فوجدا لم يتغيرا ،كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ، ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين أُحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة [(٢)] .

[٧٢] **قال ابن أبي الدنيا :** حدثنا أحمد بن عاصم ،حدثنا سعيد بن عامر عن المثنى بن سعيد قال: لما نزلت عائشة بنت أبي طلحة البصرة أتاها رجل فقال: إني رأيت طلحة بن عبيد الله في المنام فقال : قل لعائشة تحولني من هذا المكان فإن البرد قد آذاني ، فركبت في مواليها وحشمها ، فضربوا عليه بناءً واستثاروه فلم يتغير منه إلا الشعرات في إحدى شق لحيته أو قال : رأسه حتى حول إلى موضعه وكأن بينهما بضع وثمانون سنة » [(٣)] .

---

(١) سنده حسن أخرجه ابن سعد في « الطبقات (٣/٥٦٣) بنحوه وأخرجه ابن عبد البر في « التمهيد » (١٩/٢٤٠) بنحوه أيضاً .

(٢) قال ابن عبد البر في « التمهيد» (١٩/٢٣٩): هكذا الحديث في « الموطأ » مقطوعاً لم يختلف على مالك فيه ، وهو يتصل من وجوه صحاح بمعنى متقارب . اهـ .وهو كما قال فإن للحديث طرقاً وشواهداً في «الطبقات » لابن سعد (٣/٥٦٢ - ٥٦٣) وكذا في « التمهيد (١٩/٢٣٩ - وما بعدها) . لايسع المقام لذكرها . وكذا انظر « السيرة لابن هشام » (٢/٦٨) وصححه الحافظ في « الفتح » (٣/١٧٣) السلفية .

(٣) سنده حسن ، وجميع رجاله مترجم لهم في « التهذيب » .

[٧٣] وقال في كتاب «الأولياء»: [١]

كتب أبو عبد الله محمد بن خلف بن صالح التبعي [٢] أن إسحاق بن أبي نباته مكث ستين سنة يؤذن لقومه في مسجد عمرو بن سعيد يعني بالكوفة وكان يعلم الغلمان الكتاب ولا يأخذ الأجر فمات قبل أن يحفر الخندق بثلاثين سنة فلما حفر الخندق وكان بين المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه ، ووقع قبره في الخندق ، فاستخرجوه كما دفن ، ولم يتغير منه شيء إلا الكفن قد جف عليه ويبس والحنوط محطوط عليه ، وكان خضيباً فرأى وجهه مكشوفاً وقد اتصل الحنا في أطراف الشعر فمضى المسيب بن زهير إلى أبي جعفر المنصور ، وهو على شاطيء الفرات ، فأخبره فركب أبو جعفر في الليل حتى رآه فأمر به فدفن بالليل لئلا يفتن الناس ...

[٧٤] وفي الترمذي في سياق حديث صهيب المرفوع في قصة أصحاب الأخدود أن ذلك الغلام الذي قتله الملك ، وآمن الناس كلهم . وقالوا : آمنا برب الغلام وجد في زمن عمر بن الخطاب ويده على جرحه كهيئته يوم مات [٣] .

وأخبار كثيرة من أخبار المتقدمين في هذا المعنى .

[٧٥] وذكر ابن الجوزي [٤] أن الشريف أبا جعفر بن أبي موسى لما دفن إلى جانب قبر الإمام أحمد بعد موت الإمام أحمد بمئة سنة رئى كفن الإمام أحمد وهو يتقعقع .

---

(١) تصفحت كتاب « الأولياء » بتحقيق مجدي السيد ، فلم أره فيه وقد نقله هنا بسنده وهو سند حسن إن كان محمد بن خلف أدرك هذه القصة .

(٢) مترجم في « الجرح والتعديل » (٧/ ٢٤٥) وقال فيه صدوق .

(٣) ظاهر سنده الصحة ، وأصله في مسلم بغير هذه الزيادة وصحح الحديث بهذه الزيادة الشيخ الألباني في « صحيح الترمذي » وأخرجه الترمذي (٣٣٤٠) وأصله في مسلم (٣٠٠٥) بغير هذه الزيادة .

(٤) **انظر** : « مناقب الإمام أحمد » (ص ٤٨٣) ولفظه «قرأت بخط شيخنا أبي الحسن على بن عبيد الله بن الزاغوني قال : كشف قبر إمامنا أحمد بن حنبل حين دفن الشريف أبو جعفر إلى جانبه وجثته لم تتغير وكفنه صحيح لم يبل قلت – القائل ابن الجوزي – : بين وفاة الإمام أحمد بن حنبل ووفاة الشريف مئتا سنة » .

[٧٦] **قال :** ولما كشف قبر البربهاري فاحت بغداد رائحة طيبة حتى ملأت المدينة .

[٧٧] **قال :** وحدثنا محمد بن أبي منصور بن يوسف حدثني أبي قال : في جملة من كشف ابن شمعون لما نقل من بيته إلى مقبرة الإمام أحمد بعد أربعين سنة ، وكفنه يتقعقع .



فصل

هل يشفع الصالح فيمن جاوره من أهل القبور

قد يكرم الله بعض عباده الصالحين بأن يشفع في جيرانه فينتفعون بمجاورته في قبره .

وعكس هذا من تأذى جيرانه من الموتى بعذابه [1] .

(١) كذا قال المصنف وذكر في ذلك بعض الحكايات لا تثبت ولو يثبت فإن مثل هذا يحتاج إلى دليل من الوحيين الكتاب أو السُّنَّة أو أحدهما . وانظر بعض الحكايات الأخرى في « مناقب أحمد » لابن الجوزي (ص٤٨٢ - ٤٨٣) .

الباب السابع
فيما ورد من تلاقي الموتى في البرزخ وتزاورهم (١)

---

(١) لم يثبت مما ذكره المصنف في هذا الباب شيء وكذا الفصل الذي عقده بعده ولا يعلم حديث ثابت ينص على هذا لكن ابن القيم في « الروح » ص ٢١ يقول :

المسألة الثانية : وهي أن أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا ؟ ، وهي أيضاً مسألة شريفة كبيرة القدر وجوابها : أن الأرواح قسمان ، أرواح معذبة ، وأرواح منعمة ، فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي .

والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا ، وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى قال الله تعالى ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩)** ﴾ ، وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء ، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة ... » .

كذا قال رحمه الله وقال العلامة الألباني في – تحقيقه – « الايات البينات » ص ١٠٥ – ١٠٦ : وقد ساق – يعني ابن القيم – لها أدلة كثيرة من الكتاب والسُّنَّة والاثار عن الصحابة والتابعين لكن الأحاديث التي أوردها ليس فيها ما يحتج به من قبل إسناده وقد فاته حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه « **إن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الأرض** » الحديث حسن وصححه السيوطي وقد أخرجته في الصحيحة (٢٦٢٨) .

الباب الثامن

فيما ورد من سماع الموتى كلام الأحياء ومعرفتهم بمن يُسَلَّمُ عليهم ويزورهم ومعرفتهم بحالهم بعد الموت وحال أقاربهم في الدنيا

أما سماع الموتى لكلام الأحياء :

[٧٨] ففي الصحيحين [١] عن أنس عن أبي طلحة ﷺ قال : لما كان يوم بدر وظهر عليهم نبي الله ﷺ « **أمر ببضعة وعشرين** » وفي رواية : « **أربعة وعشرين** » رجلاً من صناديد قريش فألقو في طوى من أطواء بدر فقام رسول الله ﷺ قال : « **يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، يا عتبه بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعد ربي حقاً** » ، فقال عمر : يا رسول الله ماتكلم من أجساد لا أرواح فيها ، فقال : « **والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم** » .

[٧٩] وفي صحيح مسلم [٢] من حديث أنس نحوه من غير ذكر أبي طلحة وفي حديثه : « **والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا** » .

[٨٠] وفيه [٣] أيضاً عن عمر بن الخطاب عن النَّبي ﷺ هذه القصة بمعناها .

[٨١] وفي « الصحيحين » [٤] عن ابن عمر ﷺ قال : اطلع النَّبي ﷺ على أهل القليب فقال : « **وجدتم ما وعد ربكم حقاً** » ؟ ، قيل له : أتدعو أمواتاً ؟ ، قال : « **ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون** » .

وفي رواية « **إنهم الآن يسمعون ما أقول** » .

(١) البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥) .
(٢) مسلم (٢٨٧٤) .
(٣) مسلم (٢٨٧٣) .
(٤) البخاري (١٣٧٠) ومسلم (٢٨٧٥) .

ذكر الخلاف في سماع الأموات

القول الأول : وقد أنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك :

[٨٢] كما في « الصحيحين » [١] عن عروة عن عائشة أنها قالت ما قال رسول الله ﷺ « **إنهم ليسمعون الآن ما أقول** » وقد – وهم – يعني : ابن عمر – إنما قال : إنهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم إنه حق ثم قرأت قوله : ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ** ﴾ [النحل : ٨٠] ، و ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ** ﴾ [فاطر : ٢٢] .

وقد وافق عائشة رضي الله عنها على نفى سماع الموتى كلام الأحياء طائفة من العلماء ورجحه القاضي أبو يعلى من أصحابنا [٢] في كتاب « الجامع الكبير » له ، واحتجوا بما احتجت به عائشة ، وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنَّبي ﷺ دون غيره وهو سماع الموتى كلامه .

[٨٣] وفي « صحيح البخاري » [٣] قال قتادة أحياهم الله تعالى – يعني : أهل القليب – حتى أسمعهم قوله ، توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً » [٤] .

القول الثاني : وردهم على القول الأول وأدلتهم :

ذهب طوائف من أهل العلم ـ وهم الأكثرون ـ وهو اختيار الطبري وغيره وكذلك ذكره ابن قتيبة وغيره من العلماء [٥] ، وهؤلاء يحتجون بحديث

---

(١) البخاري (٣٩٧٩) ومسلم (٩٣٢) .

(٢) يعني : الحنابلة .

(٣) البخاري (٣٩٧٦) .

(٤) وهذا القول هو الراجح ورجحه جماعة من الحنابلة والمالكية والحنفية وقد صنف في بيان هذا القول وترجيحه العلامة الألوسي كتاباً سماه « الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات » وكساه الشيخ الألباني بتحقيق وتعليق مفيد فرحمهم الله جميعاً .

(٥) كذا في « الأصل » والكلام غير تام وتمامه : « وغيره من العلماء – ذهبوا إلى جواز سماع الأموات ... » هكذا يقتضي السياق والله أعلم .



القليب ، كما سبق ، وليس هو وهم ممن رواه :

■ فإن ابن عمر وأبا طلحة وغيرهما ممن شهد القصة حكياه عن النَّبي ﷺ وعائشة لم تشهد ذلك (١) .

■ وروايتها عن النَّبي ﷺ أنه قال : « **إنهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم** إنه حق » .

يؤيد رواية من روى : «إنهم ليسمعون» ولا ينافيه فإن الميت إذا جاز إن يعلم جاز أن يسمع ، لأن الموت ينافي العلم كما ينافي السمع والبصر فلو كان مانعاً من البعض لكان مانعاً من الجميع (٢) .

■ وإما إن ذلك خاص بالنَّبي ﷺ فليس كذلك ، وقد ثبت في « الصحيحين » (٣) عن النَّبي ﷺ قال : « **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه**

---

(١) أيَّد هذا العلامة الألباني كما في « الايات البينات » (٣١ - ٣٢) .

(٢) وقد عقب الشيخ على هذا الاستدلال في مقدمته لـ(الآيات البينات) ص ٢٩ بعد ذكره للفظ حديث ابن عمر وأبي طلحة : « ووجه الاستدلال بهذا الحديث يتضح بملاحظة أمرين :

الأمر الأول : ما في الرواية الأولى منه من تقييدة ﷺ سماع موتى القليب بقوله « الآن » فإن مفهومه أنهم لايسمعون في غير هذا الوقت وهو المطلوب ، وهذه فائدة هامة نبه عليها العلامة الألوسي في كتاب « روح المعاني » (٦ / ٤٥٥) ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لايسمعون ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النَّبي ﷺ وبإسماع الله تعالي إياهم خرقاً للعادة ومعجزة للنَّبي ﷺ كما في الكتاب ـ يعني : « الآيات البينات » - (ص ٥٦-٥٩) عن بعض علماء الحنفية وغيرهم من المحدثين ، وفي « تفسير القرطبي » (١٣ / ٢٣٢) : قال ابن عطية : فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن رد الله إليهم إدراكاً سمعوا به مقاله ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقى من الكفرة ، وعلى معنى شفاء الصدور » .

والأمر الآخر : أن النَّبي ﷺ أقر عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقراً في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لايسمعون - يعني بقولهم لرسول الله ﷺ - « ما تُكلِّم أجساداً لا أرواح فيها » ...

قال : ومنه يتضح أن النَّبي ﷺ أقر الصحابة وفي مقدمتهم عمر على فهمهم للآية على ذلك الوجه العام الشامل لموتى القليب وغيرهم ؛ لأنه لم ينكره عليهم ولا قال لهم أخطأتم ، فالآية لا تنفي مطلقاً سماع الموتى ، بل إنه أقرهم على ذلك ، ولكن بين لهم ما كان خافياً عليهم من شأن القليب ، وأنهم سمعوا كلامه حقاً ، وأن ذلك أمر خاص مستثنى من الآية معجزة له ﷺ كما سبق .

(٣) تقدم برقم (٤) .

أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم » [(١)] .

وسنذكر الأحاديث الواردة بسماع الموتى سلام من يسلم عليهم فيما بعد إن شاء الله .

■ وأما قوله ﴿ **إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ** ﴾ [النحل : ٨٠] ، وقوله : ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ** ﴾ [فاطر : ٢٢] ، فإن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه ، ويراد به أيضاً الإنتفاع به ، والإستجابة له .

والمراد بهذه الآيات نفي الثاني دون الأول ، فإنها في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدى ولا للإيمان إذا دعوا إليه [(٢)] .

---

(١) قال المناوي في « فيض القدير » (٢ /٣٩٨) وعورض بقوله « وما أنت بمسمع من في القبور » وأجيب بأن السماع مخصوص بأول الوضع في القبر مقدمة للسؤال فيه » ا . هـ. قلت: ويؤيده رواية مسلم (٢٨٧٠) (٧١) « ... لَيَسْمَعُ خفق نعالهم إذا انصرفوا » وانظر « الايات البينات » (ص ٣٧ – ٣٨ وص ٧٣) .
وهذان الدليلان السابقان هما أقوى الأدلة لأصحاب هذا القول ولهم أدلة أخرى ولكنها لاتصح أسانيدها البتة كما قال العلامة الألباني في « مقدمة الآيات البينات » ص ٣٨ – ٤٠ .

(٢) قال ابن التين كما في « الفتح » كتاب الجنائز باب (٨٦) : « لا معارضة بين حديث ابن عمر والآية ، لأن الموتى لايسمعون بلا شك، لكن إذا أراد الله تعالى إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ** ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا** ﴾ [فصلت : ١١] ، وسيأتي في المغازي قول قتادة : إن الله تعالى أحياهم حتى سمعوا كلام نبيه عليه الصلاة والسلام . ا هـ .
قال الشيخ الألباني في « مقدمة الآيات البينات » ص (٢١ – ٢٢) : وعلى ذلك جرى علماء التفسير لا خلاف بينهم في ذلك فيما علمت ولكن ذلك لايمنع الاستدلال بهما على ماسبق ، لأن الموتى لما كانوا لايسمعون حقيقة وكان ذلك معروفاً عند المخاطبين شبه الله تعالى بهم الكفار الأحياء في عدم السماع فدل هذا التشبيه على أن المشبه بهم وهم الموتى في قبورهم لايسمعون وكذلك الآيتان السابقتان [يعني – آية النمل ٨٠ – ٨١ وآية الروم – ٥٢] – وإن كانتا تحدثتا عن كفار الأحياء وشبهوا بموتى القبور فذلك لاينفي أن موتى القبور لايسمعون بل إن كل عربى سليم السليقة ، لا يفهم من تشبيه موتى الأحياء بهؤلاء إلا أن هؤلاء أقوى في عدم السماع منهم وإذا كان الأمر كذلك فموتى القبور لايسمعون) هـ بتصرف يسير وقد حقق القول العلامة الشنقيطي في « أضواء البيان » (٦ /٤١٦ – ٤٢١) بما حاصله ماتقدم وحقق الإمام الشوكاني في « فتح القدير » (٤ /١٤٦) ذلك وقال : وظاهر نفي إسماع الموتى العموم فلا يخص معهم إلا ما ورد بدليل كما ثبت في « الصحيح » أنه ﷺ خاطب القتلى في قليب بدر » .
وفي الأخير اعلم أن كون الموتى يسمعون أو لا يسمعون إنما هو أمر غيبي لا يعلمه إلا الله فلا يجوز فيه الخوض بالأقيسة والآراء وإنما يوقف فيه مع النص إثباتاً ونفياً وقد أثبت أن الأدلة عامة بعدم سماع الأموات وما خص من ذلك إلا ما قام عليه الدليل كأصحاب قليب بدر، والله أعلم .

كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا** ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، في نفي السماع والإبصار عنهم ، لأن الشيء قد ينفي لانتفاء فائدته وثمرته .

فإذ لم ينتفع المرء بما يسمعه ويبصره ، فكأنه لم يسمع ولم يبصر وسماع الموتى هو بهذه المثابة .

وكذلك سماع الكفار لمن دعاهم إلى الإيمان والهدى .

هل السؤال في القبور على الروح والجسد :

■ قول قتادة في أهل القليب « أحياهم الله حتى أسمعهم » يدل على أن الميت لايسمع القول إلا بعد إعادة الروح إلى جسده كما جاء ذلك مصرحاً به في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ الطويل وقد سبق ذكر بعضه وفيه في حق الكافر : « **وتعاد روحه في جسده** » .

وفي مسند الإمام أحمد عن البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حق المؤمن والكافر في كل منهما قال : « **وتعاد روحه في جسده** » .

وخرج ابن ماجة من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ في صفة قبض الروح والمسائلة . وقال في روح الكافر « فتصير إلى القبر » وقد سبق أيضاً .

وكذلك قال أبو صالح [١] وغيره من السلف في قوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)** ﴾ .

[البقرة : ٢٨] .

فدل على أن الحياة الأولى : هي القبر للسؤال ـ وإن كان الأكثرون خالفوا في ذلك ـ .

■ فهؤلاء السلف كلهم صرحوا بأن الروح تعاد إلى البدن عند السؤال .

(١) صحيح عنه ،أخرجه ابن جرير (١/٤١٩) .

■ وصرح بمثل ذلك طوائف من الفقهاء والمتكلمين من أصحابنا وغيرهم كالقاضي أبي يعلى وغيره [(١)] .

■ وأنكر ذلك طائفة منهم ابن حزم [(٢)] وغيره ، وذكر أن السؤال للروح خاصة، وكذلك سماع الخطاب .

وأنكر أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر للعذاب وغيره .

وقالوا : لو كان ذلك حقاً لزم للإنسان أن يموت ثلاث مرات ويحيي ثلاث مرات .

والقرآن دل على أنهما موتتان ، وحياتان [(٣)] . وهذا ضعيف جداً .

فإن حياة الروح ليست حياة تامة مستقلة كالحياة الدنيا وكالحياة الآخرة بعد

---

(١) قال ابن القيم في « الروح » ص ٥١ : المسألة السادسة وهي الروح هل تعاد إلى الميت في قبره وقت السؤال أم لا ؟ قد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسألة وأغنانا عن أقوال الناس حيث صرح بإعادة الروح إليه فقال البراء بن عازب – وذكر حديثه المتقدم (٣) بكامله – ثم قال : وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السُّنَّة والحديث من سائر الطوائف . ا هـ . وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوي (٢٤ / ٣٦٥) ، الأحاديث متواترة على عودة الروح إلى الجسد وقت السؤال . ا هـ . وهو ترجيح تقي الدين السبكي كما في فتاويه (٢ / ٦٣٦ – ٢٣٨) .

(٢) وذلك في « الفصل في الملل والنحل » (٤ / ١١٧ ، ١١٩) وقال في « الأصول والفروع » به ص ٨٢ : « وهذا غير دافع لعذاب القبر إذ تلك المسألة وعودة الذكر إنما هي لاشك للنفس وغير بعيد أن يكون ذلك للنفس مع الجسد وتكون هي الموتة الثانية . أو كما شاء الله عز وجل مما هو القادر عليه إلا أن المراد عندنا بعذاب القبر وفتنة المسألة فيه أن ذلك كله يلقاه المرء إثر موته كان له قبر أو لم يكن أو ترك غير مقبور ا هـ .

(٣) قال ابن القيم في « الروح » معلقاً على قول ابن حزم هذا ص ٥٤ : أما استدلاله بقوله تعالى : ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾ [غافر : ١١] فلا ينفي ثبوت هذه الإعادة العارضة للروح في الجسد ، كما أن قتيل بني إسرائل الذي أحياه بعد قتله ثم أماته لم تكن تلك الحياة العارضة له للمسألة معتداً بها فإنه يحيى لحظة بحيث قال : « قتلني فلان » ثم خر ميتاً على أن قوله « ثم تعاد روحه في جسده » لا يدل على حياة مستقرة وإنما يدل على إعادة لها إلى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وإن بلي وتمزق ، **وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام** :

أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنيناً .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

الثالث : تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه .

الرابع : تعلقها به في البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً ، بحيث لايبقى لها =



البعث ، وإنما فيها نوع اتصال الروح بالبدن بحيث يحصل بذلك شعور البدن وإحساس بالنعيم والعذاب وغيرهما ، وليس هو حياة تامة ، حتى يكون انفصال الروح به موتاً تاماً وإنما هي شبيه بانفصال روح النائم عنه ، ورجوعها إليه . فإن ذلك يسمى موتاً وحياتاً [١] .

كما يقول رسول الله ﷺ إذا استيقظ :

[٨٤] « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » [٢] .

وسماه الله تعالى وفاة لقوله :﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ** ﴾ [الزمر : ٤٢] ، ومع هذا فلا ينافي ذلك أن يكون النائم حياً ، وكذلك اتصال روح الميت ببدنه ، وانفصالها عنه لاتوجب أن يصير حياً حياة مطلقة .

■ وممن رجح هذا القول – أعني : السؤال والنعيم والعذاب للروح خاصة – من أصحابنا ابن عقيل [٣] وأبو الفرج بن الجوزي [٤] في بعض تصانيفهما .

= التفات إليه البتة وقد ذكر من الأحاديث والآثار مايدل على ردها إليه وقت سلام المسلم وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة .

(١) ورد بنحو ما ذكر الحافظ ابن رجب الإمام ابن القيم في « الروح » ص ٥٤ فانظره إن شئت .

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٢) و (٦٣٢٤) عن حذيفة وأخرجه (٧٣٩٥) عن أبي الدرداء وأخرجه مسلم (٢٧١١) عن البراء .

(٣) هو أبو الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي قال الذهبي : كان يتوقد ذكاءً وكان بحر معارف وكنز فضائل. اهـ . قال المصنف : وأكبر تصانيفه الفنون فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات وفيه مناظرته ومجالسه التي وقفت له وخواطره ونتائج فكره قيدها فيه ، توفي سنة ٥١٣ هـ ، انظر « السير » (٤٤٣/١٩) و« طبقات الحنابلة » (٢٥٩/٢١) و « لسان الميزان » .

(٤) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد المشهور بابن الجوزي يتصل نسبه بأبي بكر الصديق ﷺ وهو مشارك في فنون شتى في الحديث و الفقه والقرآن والأدب قال الذهبي : ما عرفت أحداً صنف ما صنف ومن أشهر كتبه « زاد المسير » في التفسير و « المنتظم » في التاريخ توفي سنة ٥٩٧ هـ ، انظر « السير » (٣٦٥/٢١) و « البداية والنهاية » (٢٨/١٣) .

■ واستدل ابن عقيل بأن أرواح المؤمنين تنعم في حواصل طير خضر وأرواح الكفار في حواصل طير سود ، وهذه الأجساد تبلى فدل ذلك على أن الأرواح تنعم وتعذب في أجساد أخر ، وهذا لا حجة فيه لأنه لاينافي اتصال الروح ببدنه أحياناً مع فنائه واستحالته .

واستدل طائفة ممن ذهب إلى هذا القول بما روى منصور بن عبد الرحمن عن أمه قالت دخل ابن عمر المسجد ، وابن الزبير قد قتل وصلب فقيل له هذه أسماء بنت أبي بكر في المسجد فقال لها : اصبري فإن هذه الجنة ليست بشيء وإنما الأرواح عند الله فقالت : وما يمنعني من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل [١] .

وهذه الآثار لاتدل على أن الروح لا تتصل بالأبدان بعد الموت إنما تدل على أن الأجساد لاتتضرر بما ينالها من عذاب الدنيا ، وإنما هو نوع آخر يصل الميت بمشيئة الله تعالى وقدرته .

■ وقولهم الأرواح عند الله تعاقب وتثاب لاينافي أن تتصل بالبدن أحياناً فيحصل بذلك إلى الجسد نعيم أو عذاب، وقد تستقل الروح أحياناً بالنعيم والعذاب ، إما عند استحالة الجسد أو قبل ذلك .

وقد أثبت طائفة أخرى النعيم والعذاب للجسد بمجرده ، من غير اتصال الروح له .

وممن ذكر ذلك من أصحابنا : ابن عقيل في كتاب « الإرشاد » ، وابن الزاغوني [٢] وحُكِيَ عن ابن جرير الطبري أيضاً .

وذكر القاضي أبو يعلى أنه ظاهر كلام الإمام أحمد فإنه قال في رواية حنبل :

(١) البداية والنهاية ، وتاريخ الطبري .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر البغدادي ابن الزاغوني المجلّد ، قال السمعاني : شيخ صالح متدين مرضي الطريقة ، توفي سنة ٥٥٢ هـ أنظر « السير » (٢١ / ٢٧٨) .



أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكفار في النار ، والأبدان في الدنيا يعذب الله من يشاء ويرحم من يشاء منها بعفوه .

قال القاضي[١] **:** ظاهر هذا أن الأرواح تعذب وتنعم على الانفراد وكذلك الأبدان إِذا كانت باقية أدى إِلى الأجزاء التي استحالت قال : ولا يمنع أن يخلق في الأبدان إِدراك تحس به النعيم والعذاب كما خلق في الجبل لما تجلى له ربه ثم جعله دكاً .

وقال القاضي أبو الحسين : ولأنه مالم يستحل نطق الذراع المسموم لم يستحل عذاب الجسد البالي ، وإِيصال العذاب إِليه بقدرة الله تعالى .

■ وقد يستدل لهذا ، بأن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ يوم كلم أهل القليب « كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ » .

فلم ينكر النَّبي ﷺ ذلك وإِنما قال : « **ما أنتم بأسمع لما أقول منهم** » ، فدل على أن سماعهم حصل على أجساد لا أرواح فيها .

■ وقد دل القرآن على سجود الجمادات ، وعلى تسبيحها لله تعالى وخشوعها له فدل على أن فيها حياة تحييها إِدراكاً فلا يمنع مثل ذلك في جسد ابن آدم بعد مفارقة الروح له والله أعلم .

■ ويدل على ذلك : ما أخبر الله من شهادة الجلود والأعضاء يوم القيامة [٢] .

■ ومما يدل على وقوع العذاب على الأجساد ، الأحاديث الكثيرة في تضييق القبر على الميت ، حتى تختلف أضلاعه ، ولأنه لو كان العذاب على الروح خاصة لم يختص العذاب بالقبر ولم يُشَرْ إِليه [٣] .

---

(١) يعني أبا يعلى الحنبلي .

(٢) انظر: ما تقدم تقريره في أول المسألة .

(٣) وهذا هو قول جمهور أهل العلم انظر « الروح » ص ٦٢ .

فصـــــل

في معرفة الموتى بمن يزورهم ويسلم عليهم

وأما معرفة الموتى بمن يزورهم ويسلم عليهم :

[٨٥] فخرج ـ يعني : ابن أبي الدنيا ـ في كتاب من « عاش بعد الموت » (١) من رواية عطاف بن خالد حدثتني خالتي قالت : ركبت يوماً إلى قبور الشهداء ، فنزلت عند قبر حمزة ـ رضي الله عنه ـ ولا في الوادي داع ولا مجيب يتحرك إلا غلاماً قائماً آخذاً برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قلت بيدي هكذا : سلام عليكم فسمعت ، السلام يخرج عليَّ من تحت الأرض،أعرفه كما أعرف أن الله خلقني ، ـ وكما أعرف الليل من النهار ـ ، فاقشعرت كل شعرة مني .

[٨٦] وفي « صحيح مسلم » (٢) عن عبد الله بن شماسة الفهري أن عمرو بن العاص لما حضر الموت قال في وصيته : « إذا دفنتموني فشنوا على التراب شناً ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم ، وانظر ماذا أراجع به رسل ربي » .

[٨٧] وروى ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح (٣) عن أبي التياح قال : كان مطرف [يغدو] (٤) فإذا كان يوم الجمعة أدلج قال : فأقبل حتى إذا كان عند المقابر نام على فرسه ، فرأى كأن أهل القبور كل صاحب قبر جالس على قبره فقالوا : هذا مطرف يأتي يوم الجمعة فقلت : تعلمون عندكم يوم الجمعة قالوا : نعم ، ونعلم

---

(١) سنده حسن أخرجه ابن أبي الدنيا في « من عاش بعد الموت » رقم (٤١) .

(٢) مسلم (١٢١) .

(٣) سنده حسن : لم أره في المطبوع من « القبور » لابن أبي الدنيا ولكن أخرجه البيهقي في « الشعب » رقم (٩٣٠٣) من طريق ابن أبي الدنيا في سنده جعفر بن سليمان وهو حسن الحديث فمن أجله حكم على السند بالحسن .

(٤) في الأصل « يبدو » والمثبت من « الشعب » وهو الصواب .

ما تقول فيه الطير قال قلت : وما تقول فيه الطير ؟ قال : يقولون : سلام سلام يوم صالح .

[٨٨] وقال ابن أبي الدنيا [١] : وحدثني إبراهيم بن [بشار] [٢] الكوفي حدثني الفضل بن الموفق قال : كنت أتي قبر أبي كثيراً قال : فشهدت جنازة فلما قبر صاحبها تعجلت لي حاجة ولم آت قبر أبي قال : فرأيته في النوم فقال : يا بني لم لم تأتني ؟ فقلت : يا أبت فإنك لتعلم بي ، قال : إي والله ، إنك لتأتيني فما أزال أنظر إليك من حين تطلع من القنطرة وتقوم من عندي فما أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة » [٣] .

[٨٩] حدثنا محمد بن الحسين حدثنا يحيى بن أبي [بكير] [٤] حدثنا الفضل بن موفق ابن خال سفيان بن عيينة قال لما مات أبي جزعت عليه جزعاً شديداً فكنت أتي قبره كل يوم ، ثم إني قصرت من ذلك ما شاء الله! ، ثم إني أتيته يوماً فبينما أنا جالس عند القبر إذ غلبتني عيناي فنمت فرأيت كأن قبر أبي انفجر ، وكأنه قاعد في قبره متوشح بأكفانه عليه سحنة الموت ، قال : فبكيت لما رأيته، فقال: يا بني ما أبطأ بك عني ؟ قال : قلت: إنك لتعلم بمجييء ؟، قال لي : ما جئت من مرة إلا علمتها ، وقد كنت تأتيني فأسر بك ، ويسر من حولي بدعائك قال فكنت آتيه بعد كثيراً .

[٩٠] وقال الحافظ أبو الطاهر السلفي « سمعت أبا البركات عبد الواحد بن

---

(١) صحيح إلى الفضل والفضل ضعيف ولكن لايضر لأنه هو حاكي الحكاية بنفسه وهم في القبور ، كما سبق عزو المصنف إليه . وأخرجه أيضا في « المنامات » رقم (١٩) من طريق محمد بن الحسين البرجلاني عن الفضل به .

(٢) في الأصل « سيار » والتصويب من « الروح » و « المنامات » .

(٣) يعني : ابن أبي الدنيا وسنده هذا صح إلى الفضل ولم أره في المطبوع من« القبور» ولم يضفه محققه إلى الملحق فليستدرك .

(٤) في الأصل « بكر » والصواب المثبت والله أعلم ، ثم رأيته على حسب ما صوبت في « الروح » ص ٧ .

عبد الرحمن بن غلاب السوسي بالإسكندرية يقول : يا بنيتي اذا جئتني زائرة فأقعدي عند قبري ساعة ، أتملأ من النظر إليك ثم ترحمتِ عليّ ، فإذا ترحمت عليّ، صارت الرحمة بيني وبينك كالحجاب ثم شغلتني عنك [١] .



(١) أقول كل هذه رؤيا والرؤيا لا تبنى عليها أحكام والله أعلم وإنما ذكرتها لأن المصنف قد ذكرها ورأيت أسانيدها صالحة ، قال ابن القيم في « الروح » ص ٥ المسألة الأولى وهي : هل يعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا ؟ ... قد شرع النَّبي ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول : «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين** » وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به . ا هـ . ثم ذكر آثاراً أكثرها ضعيف وكونها خوطبت بما خاطب به السامع لا يستلزم من ذلك أنها كحياتهم في الدنيا بل هي خاصة من رد السلام والانتقال ونحو ذلك . وانظر « الصارم المنكي » (ص ٢٢٦) .

فصــل
في ذكر معرفة الموتى بحالهم في الدنيا قبل الدفن [(١)]

فصــل
في ذكر معرفة الموتى في قبورهم بحال أهليهم وأقاربهم في الدنيا

[٩١] وقد روى عن النَّبي ﷺ أنه تُعرض عليه صلاة أُمَّته يوم الجمعة ، من حديث أوس بن أوس [(٢)] .

[٩٢] قال ابن أبي الدنيا [(٣)] : حدثنا سعيد بن يحيى الأموسي حدثنا أبي عن أبي بكر بن عياش عن حفار كان في بني أسد قال : فمررت بالحفار فحدثني كما حدثني أبو بكر عنه قال كنت أنا وشريك لي [نتحارس] [(٤)] في مقبرة بني

---

(١) لم يثبت مما ذكره في هذا الفصل شيء .

(٢) **صحيح** : أخرجه أحمد (٤ / ٨) وأبو داود (١٠٤٧) والنسائي (٣ / ٩١) وابن ماجة (١٠٨٥) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على** » .
قال قالوا : يارسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقدأرمت فقال : « **إن الله عز وجل حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء** » .
قال ابن عبد الهادي في « الصارم المنكي » ص ٢١٠ بعد كلامه على طريق الحديث بتوسع : فعلى هذا يكون الحديث ... حديثا صحيحاً لأن رواته كلهم ثقات مشهورون بالصدق والأمانة والثقة والعدالة ولذلك صححه جماعة من الحفاظ كأبي حاتم ابن حبان والحافظ عبد الغني المقدسي وابن دحية وغيرهم ولم يأت من تكلم عليه وعلله بحجة بينه . ا هـ . وله شواهد أشار إليها المصنف من حديث : أبي الدرداء وأبي هريرة وابن مسعود وأبي أمامة وأنس وغيرهم وقد جمع طرق الحديث الحافظ المنذري في جزء مفرد كما في « صحيح الترغيب » (٦٩٦) : وانظر « جلاء الأفهام » لابن القيم رحمه الله و « الصارم المنكي » لابن عبد الهادي (ص ١٨٩ – ٢١٢) .

(٣) سنده حسن وهو في « القبور » (١٣٨) .

(٤) في الأصل « نتحارث » و الصواب المثبت كما في « القبور » .

أسد قال: فإني لليلة في المقابر إذ سمعت قائلاً يقول من قبر :

يا عبد الله قال : مالك ياجابر ؟ ، قال : غداً تأتينا أمنا ، قال : وما ينفعنا لا تصل إلينا، إن أبي قد غضب [عليها] [١] وحلف أن لا يصلي عليها ، فجعل يكرران ذلك مراراً فجئت شريكاً فجعل يسمع الصوت ، ولا يفهم الكلام فلقنته إياه ثم نفهمه ففهمه فلما كان من الغد جاءني رجل ، فقال : احفر لي ههنا قبراً بين القبرين الذين سمعت منهما الكلام ، قلت : اسم هذا جابر واسم هذا عبد الله ؟ قال: نعم فأخبرته بما سمعت ، قال : نعم ، قد كنت حلفت أن لا أصلي عليها لا جرم لأكفرن عن يميني ، ولأصلين عليها ، ولأترحمن عليها ، قال : ثم مر بي بعد وبيده عكاز وإداوة فقال إني أريد الحج لمكان يميني تلك .

(١) في الأصل علينا والصواب المثبت كما في « القبور » .

فصـــل

في كلام الموتى ورد السلام

وقد ذكرنا فيما تقدم من كلام الموتى ورد السلام عليهم ولاينافي هذا قوله ﷺ : « **ولا يستطيعون أن يُجيبوا** » لأن المراد نفي الإجابة المعهودة التي يسمعها الأحياء ، وقد ثبت تكلم الموتى :

[٩٣] كما في « صحيح البخاري » [١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : « **إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدموني ، وإن كانت غير صالحة ، قالت : لأهلها : ياويلها أين تذهبون بها ؟! ، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، لو سمع الإنسان لصُعِقَ** » .

(١) البخاري (١٣١٦) .

الباب التاسع
في ذكر محل أرواح الموتى في البرزخ

■ **أما الأنبياء عليهم السلام :**

فليس فيهم شك أن أرواحهم عند الله في أعلى عليين .

[٩٤] وقد ثبت في « الصحيح » [١] أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ عند موته « **اللهم الرفيق الأعلى** » وكررها حتى قبض .

■ **وأما الشهداء :**

فأكثر العلماء على أنهم في الجنة وقد تكاثرت بذلك الأحاديث .

[٩٥] ففي « صحيح مسلم » [٢] عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

قال : أما إنَّا قد سألنا عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ : « **أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم إطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئاً ؟، قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأو أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما أن رأى أن ليس لهم حاجة تركوا** » .

---

(١) البخاري (٣٦٦٩) ومسلم (٢١٩١) .
(٢) مسلم (١٨٨٧) .

[٩٦] وخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم [١] من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **لما أصيب إخوانكم بأحد جعل أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم وشربهم ومقيلهم ، قالوا : من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء في الجنة ، لئلا ينكلوا عن الحرب . ولا يزهدوا في الجهاد فقال الله تعالى : أنا أبلغ عنكم فأنزل الله تعالى ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾** [آل عمران : ١٦٩] .

وخرَّج الإمام أحمد والترمذي وصححه [٢] من حديث عمرو بن دينار عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك رضي الله عنه عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « **أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من شجر الجنة** » .

كذلك رواه عمرو عن الزهري ، ورواه سائر أصحاب الزهري عنه ولم يذكروا : « الشهداء » إنما ذكروا « نسمة المؤمن » وسيأتي حديثهم إن شاء الله .

وكذا قال الضحاك ، وإبراهيم التيمي في أرواح الشهداء .

---

(١) **حسن** ؛ أخرجه أحمد (١ / ٢٦٦) وأبو داود (٢٥٢٠) والحاكم (٢ / ٨٨ و ٢٩٧ – ٢٩٨) وغيرهم من طريق عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وهذا سند حسن وابن إسحاق قد صرح بالسماع في بعض الطرق وجاءت رواية أخرى من طريق أبي الزبير عن ابن عباس وهي منقطعة من هذا الوجه ولكن الوجه الأول أرجح وقال ابن كثير في « تفسيره » عند الآية : هوأثبت يعني الوجه السابق .

(٢) صحيح دون لفظة « الشهداء » فهي شاذة وصوابها « المسلم » أو « المؤمن » وهذا الأكثر أخرجه أحمد (٦ / ٣٨٦) والترمذي (١٦٤١) والطبراني في « الكبير » (١٩) رقم (١٢٥) من طريق سفيان عن عمرو ابن دينار به وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .
وقد خالف عمرو بن دينار– أصحاب الزهري وهم جماعة فرووه عن الزهري بلفظ « إنما نسمة المسلم » وبعضهم –وهم الأكثر الأرجح –قال: « نسمة المؤمن » ولم يقل « أرواح الشهداء » غير عمرو فتعتبر شاذه . والله أعلم .

ويشهد لهذه النصوص :

[٩٧] ما في « الصحيحين » [١] عن جابر قال : قال رجل يوم أُحد : أين أنا إن قتلت يارسول الله ؟ قال : « **في الجنة** » ، فألقي تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قُتِلَ .

[٩٨] وفي « صحيح مسلم » [٢] عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه يوم بدر « **قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض** » وذكر قصة عمير بن الحمام .

[٩٩] وفي « صحيح البخاري » [٣] عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال : أخبر نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رسالة ربنا أنه من قتل صار إلى الجنة .

[١٠٠] وفيه أيضاً [٤] عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار » .

[١٠١] وفي « صحيح مسلم » [٥] عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف » .

[١٠٢] وفي « صحيح البخاري » [٦] عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت : يارسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يكن في الجنة صبرت واحتسبت وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع ، قال : « **ويحك أوهبلت ، جنة واحدة هي؟ ، إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس** » .

---

(١) البخاري (٤٠٤٦) ومسلم (١٨٩٩) .
(٢) مسلم (١٠٩١) .
(٣) البخاري (٣١٥٩).
(٤) البخاري (٣١٨٢) وفي مسلم (١٧٨٥) .
(٥) مسلم (١٩٠٢) .
(٦) البخاري (٢٨٠٩) .

[١٠٣] وخرج الترمذي والحاكم [(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال : « **رأيت جعفراً يطير مع الملائكة** » .

[١٠٤] وأخرج أحمد وأبو يعلى [(٢)] من حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا الحسنة فكان فيما يقول : هل رأى أحد منكم

---

(١) الحديث حسن لغيره ؛ أخرجه الحاكم (٣/١٩٦) بنحوه ، ولم يخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وانما أخرجه الترمذي (٣٨٥٢) من حديث أبي هريرة ، وحديث ابن عباس من طريق زمعة بن صالح عن سلمة ابن هرام وروايته عنه ضعيفة وأخرجه الطبراني في « الكبير» (١١) رقم (١٢٠٢٠) وفي سنده عمر بن هارون وهو متروك وأخرجه أيضاً برقم (١٤٦٧) وفي سنده أبو شيبة ابراهيم بن عثمان وهو متروك وأخرجه الحاكم (٣/٣٠٩ – ٢١٠ و٢١٢) قال الهيثمي في « المجمع » (٩/٢٧٢) : فيه معدان بن الوليد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات أ هـ . وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٥/٢٠٠٩) في ترجمة عصمة بن محمد الأنصاري وقال عنه : كل حديثه غير محفوظ وهو منكر الحديث ، وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة عند الترمذي (٣٨٥٢) وغيره ، قال الترمذي :هذا حديث غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن جعفر ، وقد ضعف يحيى بن معين وغيره عبد الله بن جعفر والد على بن المديني وفي الباب عن ابن عباس » .
وأخرجه الحاكم (٣/٢١٢) من طريق حماد بن سلمة عن عبد الله بن المختار عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ : « **مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم أبيض القوائد** » وخالف حماد بن سلمة حماد بن زيد عند ابن سعد في « الطبقات » (٤/٣٩) فرواه عن عبد الله بن المختار قال : قال رسول الله ﷺ : فذكره بنحوه غير أنه أبدل قوله : « أبيض القوائد » بقوله « أبيض القوادم » فيكون الراجح إرساله كما في رواية حماد بن زيد ورفعه شاذ . وله شاهد عن ابن عمر عند البخاري (٣٧٠٩) ، كان إذا سلم على ابن جعفر قال :« السلام عليك يا ابن ذي الجناحين »، وله شاهد عن أبي عامر عند ابن سعد (٢/١٢٩ – ١٣٠) مرفوعاً وفيه « ورأيت جعفراً ذا جناحين مفرجاً بالدماء مصبوغ القوادم » وفي سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيىء الحفظ وحديثه صالح في الشواهد .
وله شاهد أيضاً عن أبي القاسم الأنصاري عند الدولابي في « الكنى » (١/١٥٨) وسنده صحيح إن كان سالم بن أبي الجعد قد سمع منه وما أخاله سمع منه .
وله شاهد عن عبد الله بن جعفر عزاه الهيثمي في « المجمع » (٩/٢٧٣) إلى الطبراني وقال: إسناده حسن، وله شواهد من حديث على عند ابن سعد (٤/٣٩) وفي سنده حسين بن عبد الله بن ضمرة وهو متروك وقد كذب والحديث بالطرق السابقة « حسن بمجموعها » والله أعلم وهناك بعض المراسيل الآخر عند ابن سعد (٤/٣٨ – ٣٩) والطبراني في « الكبير » (١٤٦٨) وذكرها الهيثمي في « المجمع » (٩/٢٧٣) استغنيت عن ذكرها بما سبق وقد صححه الشيخ الألباني لغيره في « الصحيحة » رقم (١٢٢٦) .
(٢) **صحيح** : أخرجه أحمد (٣/١٣٥ و٢٥٧) وأبو يعلى (٣٢٨٩) ومن طريقه ابن حبان (٦٠٥٤) وغيرهم وقال شيخنا في « الصحيح المسند » (٥١) : حديث صحيح على شرط مسلم .

رؤيا فإذا رأى الرجل الذي لايعرفه الرؤى ، سأل عنه، فإن أخبر عنه بمعروف كان أعجب برؤيا، قال : فجاءت أمرأة فقالت يارسول الله !، رأيت في المنام ،كأني خرجت فأدخلت الجنة فإذا أنا بفلان وفلان حتى عدت إثنا عشر رجلاً وبعث رسول الله ﷺ سرية قبل ذلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس [١] تشخب [٢] أوداجهم فقال : اذهبوا بهم إلى نهر البرزخ فغُمسوا فيه ووجوهم كالقمر ليلة البدر ، وأتوا بكراسي من ذهب فأقعدوا عليها وجييء بصحفة من ذهب ، فيها بسر فأكلوا من بسره ما شاؤا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من فاكهة ما شاؤا وأكلت معهم، قال : فجاء البشير من تلك السرية، فقال : يارسول الله ! كان كذا وكذا وأصيب فلان وفلان ، حتى عدَّ إثنا عشر رجلاً ، فقال : عليَّ بالمرأة فقال : قصي رؤياك على هذا ، فقالَ الرجل: هو كما قالت أصيب فلان وفلان .

[١٠٥] وروى عن مجاهد أنه قال : ليس الشهداء في الجنة ولكنهم يرزقون منها .

■ وروى آدم بن أبي إياس [٣] فقال : حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

قال : يقول : الأحياء عند ربهم يرزقون من ثمر الجنة ، ويجدون ريحها ، وليسوا فيها » .

---

(١) طلس جمع أطلس ، وهو الأسود والوسخ ومنه رجال طلس أي : مُغْبَرِيّ الألوان .

(٢) تشخب : تسيل .

(٣) في « تفسيره » وهو تفسير مفقود ينقل منه ابن رجب كثيراً فهي من النصوص المحفوظة من ذلك التفسير وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/٨١٣) . وسنده صحيح ، وإن كان ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد وإنما سمعه من القاسم بن أبي بزة وهو ثقة فقد اتفق المحققون من أهل العلم على صحة هذا التفسير ، كما بينت ذلك في «التيسير لمعرفة المشهور من أسانيد كتب التفسير » .

[١٠٦] وقد يستدل لقوله بما روى ابن إسحاق [١] عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الشهداء على طريق بارق نهر الجنة** [٢] **فيه قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشياً** » وخرجه ابن منده ولفظه « على بارق نهر في الجنة » . وهذا يدل على أن النهر خارج من الجنة .

■ وابن إسحاق « مدلس » ولم يصرح بالتحديث هنا [٣] .

■ ولعل هذا في عموم الشهداء .

■ والذين في القناديل التي تحت العرش حواصلهم ولعل المراد بالشهداء هنا من هو شهيد من غير قتل في سبيل الله . كالمطعُون ، والمبطُون ، والغرق ، وغيرهم ممن ورد النص بأنه شهيد فالأحاديث السابقة كلها فيمن قُتِلَ في سبيل الله ، وبعضها صريح في ذلك .

وفي بعضها أن الآية نزلت في ذلك وهو قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، نص في المقتول في سبيل الله .

■ وقد يطلق الشهيد على من حقق الإيمان ، وتشهد بصحته لقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ** ﴾ .

[الحديد : ١٩] .

[١٠٧] قال ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية : يقول : « يشهدون على أنفسهم بالإيمان بالله » [٤] .

---

(١) **سنده حسن** : أخرجه أحمد (١ / ٢٦٦) وهو في « السيرة » لابن هشام (٣ / ١٢٦) وقال ابن كثير في « تفسيره » عند الآية (١٦٩) من آل عمران : إسناد جيد .

(٢) قال السندي : لعل المراد به الموضع الذي يبرق منه النهر الذي بباب الجنة . والله تعالى أعلم .

(٣) صرح عند أحمد وغيره .

(٤) **صحيح** : أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٣ / ١٩٢) .

ويعضد هذا مارواه في تفسير قوله تعالى : ﴿ **لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، من شهادة هذه الأمة للأنبياء بتبليغ رسالاتهم .

وبكل حال فالأحاديث المتقدمة كلها في الشهيد في سبيل الله لا يحتمل غير ذلك . وإنما النظر في حديث ابن إسحاق هذا [١] .

---

(١) حديث ابن إسحاق السابق ذكر القرطبي في التذكرة (١ / ٣٠٠ – ٣٠١) في بعض ألفاظه مايدل على أن النهر خارج الجنة ويعكس الجواب عن هذا بأنها تفارق الجنة – في بعض الحالات اختياراً منها تعاد إلى حيث كانت ، وقال الإمام ابن القيم بعد ذكره لأقوال أهل العلم في محل مستقر الأرواح وخلافهم في ذلك في « الروح » ص ١٤٢ – ١٤٤ : فإن قيل قد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الأرواح فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى نعتقده ؟ ، قيل : الأرواح متفاوته في مستقرها في البرزخ أعظم التفاوت ؛ فمنها : أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى ، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم متفاوتون في منازلهم ، كما رآهم النَّبي ﷺ ليلة الإسراء .

■ **ومنها** : أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت،وهي أرواح بعض الشهداء لاجميعهم ، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره .

■ **ومنهم** : من يكون محبوساً على باب الجنة كما في « الحديث » رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة .

■ **ومنهم** : من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النَّبي ﷺ : « **والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره** » .

■ **ومنهم** : من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس « الشهداء » على بارق نهر بباب الجنة .. » وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء .

■ **ومنهم**: من يكون محبوساً في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى فإنها كانت روحاً سفلية أرضية ...

■ **ومنها**: أرواح تكون في تنور الزناة والزواني . وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد ، بل روح في أعلى عليين ، وروح أرضية سفلية لاتصعد عن الأرض ..» . ا هـ . المراد.

وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم العلامة الإمام القرطبي في « التذكرة » (١ / ٣٠٠ – ٣٠١) واستحسن هذا القول الإمام الشوكاني في « بحث له في مستقر الأرواح » ضمن « الفتح الرباني » (٢ / ٦٥٦) حيث قال بعد ذكره للأقوال : وقد جمع بين هذه الأقوال بأن الأرواح متفاوتة في مستقرها وأن الأدلة التي قدمناها وارد على كل فريق من الناس وهذا جمع حسن أ هـ .

تنبيه : الأحاديث التي ذكرها ابن القيم ضمن كلامه سيأتي الكلام عنها ضمن هذا الفصل والحمد لله .

فصـــل

وأما بقية المؤمنين سوى الشهداء فينقسمون إلى :

- أهل تكليف .
- وغير أهل تكليف .

فهذان قسمان :

أحدهما : غير أهل التكليف كأطفال المؤمنين :

فالجمهور على أنهم في الجنة ، وقد حكى الإمام أحمد على ذلك الإجماع [(١)]

[١٠٨] وقال في رواية جعفر بن محمد [(٢)] : ليس فيهم اختلاف يعني أنهم في الجنة .

[١٠٩] وقال في رواية الميموني [(٣)] : لا أحد يشك أنهم في الجنة

[١١٠] وذكر الخلال من طريق حنبل عن أحمد قال : نحن نقر بأن الجنة قد خلقت ، ونؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان قال الله عز وجل : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ لآل فرعون ، وقال : أرواح ذراري المسلمين ، في أجواف طير

---

(١) وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » « تحت رقم (٢٦٦٢) : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة ، لأنه ليس مكلفاً ، وتوقف البعض ممن لا يعتد بهم لحديث عائشة . أ هـ . وحديث عائشة سيأتي برقم (١١٩) ، وقال ابن عبد البر في « التمهيد » (١٨ / ٩٠) : وأجمع المسلمون من أهل السُّنَّة وغيرهم إلا المجبرة أن أولاد المؤمنين في الجنة ، وانظر الفصل لابن حزم (٤ / ١٢٧ – ١٣٦) و « المعلم بفوائد مسلم » (١٨٠ – ١٨١) و « الفتح الرباني » للإمام الشوكاني (٢ / ٦٩١) وما بعدها .

(٢) هو جعفر بن محمد بن معبد المؤدب ، قال أبو يعلى : سألنا إمامنا عن أشياء . انظر طبقات الحنابلة (١ / ١٢٣) .

(٣) هو أبو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني صاحب الإمام أحمد ، قال الذهبي : عالم بلده ومفتيه من كبار أصحاب أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٧٤ هـ انظر « طبقات الحنابلة » (١ / ٢١٢) « تذكرة الحفاظ » (٢ / ٦٠٣) .

خضر تسرح في الجنة ، يكفلهم أبوهم إبراهيم فيدل هذا أنهما خلقتا .

[١١١] وكذا نص الشافعي على أن أطفال المسلمين في الجنة .

■ وجاء صريحاً عن السلف على أن أرواحهم في الجنة ويدل على صحة ذلك.

[١١٢] ما في « صحيح مسلم » [١] قال : لما توفي إبراهيم قال النبي ﷺ : « **إن إبراهيم ابني ، وإنه مات في الثدي ، وإنه له لظئرين يكملان رضاعة في الجنة** » .

[١١٣] وخرج الإمام أحمد نحوه من حديث البراء بن عازب [٢] .

[١١٤] وقد روى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «**ذراري المؤمنين يكفلهم** [٣] **إبراهيم في الجنة** » .

خرجه ابن حبان في « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح [٤] .

وخرجه الإمام أحمد عن موسى بن داود عن ابن [٥] ثوبان ، إلا إنه شك أن موسى شك في رفعه ، ولكن رواه غير واحد عن ابن ثوبان ولم يشك في رفعه ومما يستدل لهذا أيضاً :

[١١٥] ما أخرجه البخاري [٦] عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه رأى في منامه جبرائيل وميكائيل أتيا به فانطلقا به ، وذكر حديثاً طويلاً وفيه: « **فانطلقنا حتى انتهينا إلى** [روضة] **خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها**

---

(١) مسلم (٢٣١٦) .

(٢) **صحيح** : وأخرجه أحمد (٢/ ٢٨٣ – ٣٠٠) وهو في البخاري (١٣٨٢) فكان الأولى العزو إليه .

(٣) **حسن** : أخرجه ابن حبان (٧٤٤٦) والحاكم (٢/ ٣٧٠) وهو في « مسند أحمد » (٢/ ٣٢٦) ، وحسنه الشيخ الألباني في « الصحيحة » (٦٠٣) .

(٤) يكفلهم : قال السندي : أي : يقوم بأمرهم، وكأنه يفوض أمرهم إليه لأنه كان في الرحمة علماً حتى قال : ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الصغير يحتاج إلى من يكون في غاية الرحمة ، والله تعالى أعلم .

(٥) سقط من « الأصل » .

(٦) البخاري (١٣٨٦) و (٧٠٤٧) .

شيخ وصبيان ، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها . فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها ، فيها رجال وشيوخ ، وشباب ونساء ، وصبيان ثم أخرجاني منها . فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب » .

وذكر الحديث وفيه « قالا : والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس »

وفي رواية « **فكل مولود مات على الفطرة** » .

وفي رواية : « **ولد على الفطرة** » .

« والدار التي دخلت دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار فدار الشهداء » .

[١١٦] وخرَّج الطبراني والحاكم [١] من حديث سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال : « **بينا أنا نائم انطلق بي إلى جبل وعر** » فذكر الحديث **وفيه : « ثم انطلق بي حتى أشرفت على الغلمان يلعبون بين نهرين . قلت : من هؤلاء ؟ قال : ذراري المؤمنين يحضنهم أبوهم إبراهيم** – عليه السلام – **ثم انطلق بي حتى أشرفت على ثلاثة نفر ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : إبراهيم وموسى وعيسى** - عليهم السلام - ، **وهم ينتظرونك** » .

■ وذهب طائفة إلى أنه يشهد لأطفال المؤمنين عموماً أنهم في الجنة ، ولا يشهد لآحادهم .

وهو قول ابن راهويه [٢] نقله عنه إسحاق بن منصور وحرب في « مسائلهما » .

ولعل هذا يرجع إلى الطفل المعين ، لا يشهد لأبيه بالإيمان فلا يشهد له حينئذ أنه من أطفال المؤمنين ، فيكون الوقف في آحادهم كالوقف في إيمان آبائهم .

---

(١) **حسن** : أخرجه ابن خزيمة (١٩٨٦) وعنه ابن حبان (٧٤٩١) والحاكم (١ / ٤٣٠) وصححه الشيخ الألباني في « التعليقات الحسان » (٧٤٤٨) .

(٢) **وانظر** : التمهيد (١٨ / ٨٨) ومابعدها .

وحكى ابن عبد البر [١] عن طائفة من السلف القول بالوقف في أطفال المؤمنين منهم : حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك وإسحاق ، وهو بعيد جداً ولعله أخذ ذلك من عمومات كلامهم لهم .. إن أرادوا بها أطفال المشركين .

وكذلك اختار القول بالوقف طائفة منهم : الأثرم والبيهقي وذكر أن ابن عباس رجع عنه .

والإمام أحمد ذكر أن ابن عباس إنما قال ذلك في أطفال المشركين وإنما أخذه البيهقي من عموم لفظ روى عنه .

[١١٧] كما أنه روى في بعض ألفاظ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن الأطفال فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين [٢] .

ولكن الحفاظ الثقات ذكروا أنه سئل عن أطفال المشركين واستدل القائل بالوقف بما :

[١١٨] أخرجه مسلم [٣] من حديث فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : توفي صبي فقلت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **أو لا تدرين أن الله خلق الجنة ، وخلق النار ، فخلق لهذه أهلاً ، ولهذه أهلاً** » .

---

(١) في « التمهيد » (١٨ / ١١١ – ١١٢) .

(٢) لم أره بلفظ « سئل » عن الأطفال » وإنما أخرجه أحمد (٢ / ٤٦٤) من طريق زائدة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة : قال قيل :يارسول الله فالمولود ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين » وقد خالف زائدة فيه جماعة منهم سفيان بن عيينة كما عند مسلم (٢٦٥٩) (٢٧) فرواه عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أطفال المشركين فقال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » وهذه هي الرواية المشهورة من حديث أبي هريرة وغيره في الصحيحين وغيرهما ، فالحديث باللفظ الأول خطأ من زائدة فلعله أراد روايته بالمعنى والله أعلم . وفي كلام المصنف إشارة واضحة إلى أن الصواب خلاف هذه الرواية وهي الرواية التي فيها السؤال عن أولاد المشركين . وذلك في « البخاري » (٦٥٩٨ و ٦٥٩٩ و ٦٥٧٠ و١٣٨٤) ومسلم (٢٦٥٩) عن أبي هريرة وأخرجه البخاري (٦٥٩٧) ومسلم (٢٦٦٠) عن ابن عباس وفيهما « السؤال عن أولاد المشركين ... » الحديث .

(٣) مسلم (٢٦٦٢) .

[١١٩] وخرجه مسلم [١] من طريق طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قالت : دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يارسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه، قال : أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم .

■ وقد ضعف أحمد هذا الحديث من أجل طلحة بن يحيى ، وقال : قد روى مناكير ، وذكر له الحديث [٢] وقال ابن معين فيه : ليس بالقوي .

■ وأما رواية فضيل بن عمرو له عن عائشة ، فقال أحمد : ما أراه سمعه إلا من طلحة بن يحيى ، يعني : أنه أخذه عنه ، ودلسه حيث رواه عن عائشة بنت طلحة . وذكر العقيلي [٣] : أنه لايحفظ إلا من حديث طلحة ، ويعارض هذا :

[١٢٠] ما خرجه مسلم [٤] من حديث أبي السَّليل عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة رضي الله عنه : إنه قد مات لي ابنان ، فما أنت بمحدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تُطيّبُ به أنفسنا عن موتانا ؟ ، قال : نعم وصغارهم دعاميص [٥] الجنة يتلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال : بيده – كما آخذُ أنا بصَنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى أو قال : فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة » .

[١٢١] وفي « الصحيحين » [٦] عن أنس عن النَّبي ﷺ قال : « **ما من مسلم**

---

(١) مسلم (٢٦٦٢) (٣١) .

(٢) يعني : ذكر له هذا الحديث . ولفظه كما في «الضعفاء» للعقيلي (٢/٢٢٦) : طلحة بن يحيى أحب إلى من بريدة بن أبي بردة يروي أحاديث مناكير وطلحة : حدث حديث « عصفور من عصافير الجنة » .

(٣) في « الضعفاء » (٢/٢٢٦ – ٢٢٧) .

(٤) مسلم (٢٦٣٥) .

(٥) قال النووي : « دعامص » واحدهم « دعموص » أي صغار أهل الجنة ، وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه ؛ أي أن هذا الصغير في الجنة لايفارقها ، وقوله « بصنفةِ ثوبك » هو بفتح الصاد وكسر النون، وهو : طرفه . اهـ . بتصرف .

(٦) البخاري (١٣٨١) ولم يخرجه مسلم وجاء بنحوه عن أبي هريرة عند البخاري (١٢٥١) ومسلم (٢٦٣٢) وفي الباب عن ابن مسعود وأبي سعيد وأنس وجابر وعتبة بن عبد وأبي ذر ومعاذ بن جبل أخرجها أحمد في « مسنده » وغيره .

يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة ، بفضل رحمته إياهم » .

ولهذا قال الإمام أحمد : هو يرجى لأبويه فكيف يشك فيه .

يعنى أنه يرجى لأبويه دخول الجنة بسببه .

ولعل النَّبي ﷺ نهى أولاً عن الشهادة لأطفال المسلمين بالجنة قبل أن يطلع على ذلك ، لأن الشهادة على ذلك تحتاج إلى علم به ، ثم اطلع على ذلك فأخبر به ، والله أعلم .

القسم الثاني : أهل التكليف من المؤمنين سوى الشهداء :

وقد أختلف فيهم العلماء قديماً وحديثاً والمنصوص عن الإمام أحمد أن أرواح المؤمنين في الجنة .

ذكره الخلال في كتاب « السُّنَّة » عن غير واحد عن حنبل قال : سمعت أبا عبد الله يقول : أرواح المؤمنين في الجنة والأبدان في الدنيا يعذب الله من يشاء ويرحم من يشاء .

قال أبو عبد الله : ولا نقول : هما يفنيان ، بل هما على علم الله باقيتان ، يبلغ الله فيهما عمله ، نسأل الله التثبيت وألا يُزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا .

وقوله : « ولا نقول : هما يفنيان » يعني الجنة والنار ، فإن في أول الكلام عن حنبل أن أبا عبد الله حكي قصة ضرار [١] ، وحكايته اختلاف العلماء في الجنة والنار وأن القاضي أهدر دم ضرار ، ولذلك استخفي إلى أن مات وأن أبا عبد الله قال : هذا كفر يعني : القول بأنهما يخلقان بعد .

---

(١) هو : ضرار بن عمرو القاضي ، قال الذهبي في « الميزان » : معتزلي جلد له مقالات خبيثة ، قال : يمكن أن يكون جميع من يظهر الإسلام كفاراً في الباطن لجواز ذلك على كل فرد منهم في نفسه ، قال المروزي : قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن القاضي فأمر بضرب عنقه فهرب ، وقيل : إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه ، قال ابن حزم : كان ضرار ينكر عذاب القبر ، قلت : هذا المدبر لم يرو شيئاً . ا . هـ.



قال حنبل [١] : وسألت أبا عبد الله عمن قال : إن كانتا خلقتا فإنهما إلى الفناء ، ثم ذكر هذا الجواب من أحمد .

ولايصح أن يقال : إن أحمد إنما نفي الفناء عنهما معاً ،فيصدق ذلك أن تكون في الجنة ، وحدها لا تفني ، لأن مابعد هذا يبطل هذا التأويل وهو قوله « هي على علم الله باقيتان » فإن هذا ينفي ذلك الاحتمال والتوهم ويثبت البقاء لهما معاً ، وهذا كقولك : لا يعلم زيد وعمر ، فهذا قد يحتمل أن يراد نفي العلم عنهما جميعاً دون أحدهما ، فإذا قلت بعد ذلك بل هما جاهلان زال ذلك الاحتمال ، وأثبت الجهل لهما جميعاً وأيضاً فلا يقع استعمال نفي عن شيئيين والمراد نفي اجتماعهما خاصة إلا مع ما يبين ذلك في سياق الكلام ، وعن لفظ يدل عليه ؛ فأما مع الأطلاق فلا يقع ذلك بل لايجوز استعماله مع الإيهام كما لايقال : الليل والنهار لايبقيان . وكما لايقال : الخالق الله والمخلوق وحده يفنى . ولايقال : الدنيا والآخرة لاتفنيان ، ويراد بها أن الدنيا وحدها تفني ، ولا محمد ومسيلمة لايصدقان ولا يكذبان والمراد به صدق محمد وحده وكذب مسيلمة وحده فإن هذا كله استعمال قبيح ممنوع . ولا يعهد مثله في كلام أحد يعتد به .

وقول أحمد بعد هذا : نسأل الله التثبيت أن لا يُزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا » يدل على أن القول بخلاف ذلك عنده من الضلال والزيغ ، وقد خرج بها فيما نقله عنه حرب .

قال حرب [٢] **في « مسائله » :** هذا مذهب أئمة أهل العلم وأصحاب الأثر

---

(١) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو على الشيباني ، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه قال الخلال : قد جاء حنبل عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية وأغرب بغير شيء وإذا نظرت إلى مسائله شبهتها في حسنها وإشباعها وجودتها بمسائل الأثرم وتوفي رحمه الله سنة (٢٧٣) هـ . انظر « السير » (١٣ / ٥١) ، وطبقات الحنابلة (١ /١٤٣) .

(٢) هو حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي أبو محمد وقيل أبو عبد الله قال الذهبي : و« مسائل حرب من أنفس كتب الحنابلة وهو كبير في مجلدين » ا. هـ . توفي سنة (٢٨٠) وانظر « السير » (١٣ / ٢٤٤ – ٢٤٥) و « طبقات الحنابلة » (١ / ١٤٥) .

وأهل السُّنَّة المعروفين بها المقتدي بهم ، ممن أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام فمن خالف شيئاً من هذا المذهب فيها ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائغ عن منهج السُّنَّة وسبيل الحق ، وهو مذهب أحمد وإسحاق ، وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا ،وأخذنا عنهم العلم فكان من قولهم : الإيمان قول وعمل – وذكر العقيدة ومن جملتها – قال : لقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله ثم خلق الخلق لهما لايفنيان ولايفنى ما فيهما أبداً فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [القصص : ٨٨] ، وبنحو هذا ، فقل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا – وذكر بقية العقيدة – فقوله: « وخلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك » ، يبطل من أوَّلَ الكلام على أن المراد به لايفني مجموعهما .

وقد نقل هذا الكلام الذي نقله حرب كله عن أحمد صريحاً .

نقله عنه أبو العباس أحمد بن جعفر الاصطخري [١] أنه قال : هذا مذهب أهل العلم وأصحاب الأثر ، وأهل السُّنَّة المتمسكين بعروتها ، المعروفين بها المقتدي بهم فيها ، من لدن أصحاب رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء الحجاز وأهل الشام وغيرهم .

فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع خارج من الجماعة ، زائغ عن نهج السُّنَّة وسبيل الحق – فذكر العقيدة كلها – وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها، وخلقهما الله ،

---

(١) هو أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله أبو العباس الفارسي الاصطخري مترجم في « طبقات الحنابلة » (١ / ٢٤) وهذا الكلام في رسالته التي رواها عن أحمد وهذه الرسالة هي في« طبقات الحنابلة » (١ / ٢٤) وما بعدها . وفي سندها من لايعرف وقد أنكرها الإمام الذهبي بعد أن ساقها بسنده في « السير » (١١ / ٣٠٢ – ٣٠٣) وقال : والله ما قالها الإمام – يعني : أحمد بن حنبل – فقاتل الله واضعها . اهـ . انظر « الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد » (١ / ٣٩– ٤١) .

وخلق الخلق لهما فلا يفنيان ، ولا يفني ما فيهما أبداً ، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ ونحو هذا من متشابه القرآن فقل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا وذكر بقية العقيدة .

وقد رويت هذه العقيدة عن الإمام أحمد من وجه آخر من طريق أحمد بن وهب القرشي عنه [١] . والمقصود هنا قول أحمد : أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكفار في النار » .

وقد حكى القاضي أبو يعلي في كتاب « المعتمد » [٢] ومن اتبعه من الأصحاب هذا الكلام عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ولم ينقله عبد الله إنما نقله حنبل وأما ما نقله عبد الله عن أبيه .

[١٢٢] فقال الخلال : [٣] أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل [٤] قال سألت أبي عن أرواح الموتى أتكون في أفنية قبورهم ، أم في حواصل طير أم تموت كما تموت الأجساد ؟.

قال : روي عن النَّبي ﷺ قال : « **نسمة المؤمن إذا مات طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده فيبعثه الله** » [٥] .

وقد روي عن عبد الله بن عمرو قال : أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر كالزرارير ، ثم يتعارفون فيها ، ويرزقون من ثمارها » [٦] .

وقال بعض الناس : أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تأوي إلى قناديل في

---

(١) انظر سنده الطويل في « شذرات البلاتين » ص ٤٢ وفيه من لايعرف ، وانظر « الرسائل المروية عن الإمام أحمد » (١ / ٤١) .
(٢) نقل ذلك أيضاً ابنه عنه في « طبقات الحنابلة » (١ / ١٨١) .
(٣) في كتاب « السُّنَّة » وهو قسم مفقود إلى اليوم يسر الله العثور عليه وطبعه .
(٤) هو في « مسائل عبد الله لأبيه » رقم (٥٤٦) .
(٥) حديث صحيح يأتي الكلام عنه في التعاليق الآتية .
(٦) سيأتي برقم (١٢٤) .

الجنة معلقة بالعرش . انتهى ، وهذا الكلام أيضاً يدل على أن أرواح المؤمنين عند الله في الجنة ، إلا إنه ذكر في جوابه الأحاديث الدالة على ذلك المرفوعة والموقوفة ، ولم يذكر سوى ذلك .

ففي رواية حنبل جزم بأن أرواح المؤمنين في الجنة .

وفي رواية عبد الله ذكر الأدلة على ذلك .

■ فأما الحديث المرفوع الذي ذكره فهو من رواية مالك (١) عن ابن شهاب أن عبد الرحمن بن كعب أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث عن رسول الله ﷺ قال : « **إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده** » ورواه عن مالك جماعة منهم ؛ الإمام الشافعي .

■ ورواه الإمام أحمد في « مسنده » عن الشافعي أيضًا (٢) .

■ وخرَّجه النسائي من طريق مالك (٣) .

■ وخرَّجه مالك من طريق الحارث بن فضيل عن الزهري بهذا الإسناد (٤) .

وكذا رواه عن الزهري : يونس (٥) ، والزبيدي ، والأوزاعي (٦) ، وإسحاق .

ورواه شعيب (٧) وابن أخي الزهري (٨) وصالح بن كيسان (٩) عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن جده كعب .

---

(١) في « الموطأ » (١ / ٢٤٠) .

(٢) (٣ / ٤٥٥) .

(٣) النسائي في « المجتبى » (٤ / ١٠٨) وكذا أخرجه من طريق مالك ابن ماجة (٤٢٧١) والبخاري في « الكبير » (٥ / ٣٠٥) والطبراني في « الكبير » (١٩) رقم (١٢٠) .

(٤) وخرجه ابن ماجة (١٤٤٩) والحربي في « غريب الحديث » (٣ / ١٢١٨) والطبراني في « الكبير » (١٩ / ١٢٢) والبيهقي في « البعث والنشور » (٢٢٦) من طريق محمد بن إسحاق عن الحارث عن الزهري به .

(٥) عند أحمد (٣ / ٤٥٥ - ٤٥٦) .

(٦) عند الطبراني في « الكبير » (١٩ / ١٢٣) وتابعهم أيضاً معمر عند أحمد (٣ / ٤٥٥) .

(٧) انظر « التمهيد » (١١ / ٥٧) .

(٨) كما عند أحمد (٣ / ٤٥٦) والبيهقي في « البعث » (٢٢٥) .

(٩) كما عند أحمد (٣ / ٤٥٥) والبخاري في « الكبير » (٥ / ٣٠٥ - ٣٠٦) والطبراني (١٩ / ١٢٤) .

■ **وقال صالح في حديثه** : إنه بلغه أن كعباً كان يحدث .

■ **وقال شعيب في حديثه** : إن كعباً كان يحدث . فهو على رواية صالح ومن وافقه منقطع ، وذكر محمد بن يحيى الذهلى أن ذلك المحفوظ [١] .

وخالفه ابن عبد البر[٢] في ذلك ورجح رواية مالك ومن وافقه .

وقد روى ـ يعني : حديث كعب ـ من وجوه متعددة

[١٢٣] فروى حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ فذكر حديث القبر بطوله في حق المؤمن قال : ويعاد الجسد إلى ما بديء منه، وتجعل روحه في نسم طير يعلق في شجر الجنة ، خرجه الطبراني وغيره ، وخرجه ابن حبان في « صحيحه » من طريق معتمر عن محمد بن عمرو به ولفظه : « وتجعل نسمته في النسيم الطيب ، وهو طير يعلق في الجنة » .

وقد سبق أن غيرهما رواه عن محمد بن عمر ووقفه [٣] .

[١٢٤] وخرج أيضاً – يعني ابن منده – من رواية عيسى بن موسى عن سفيان الثوري عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « **أرواح المؤمنين كالزرازير تأكل من ثمر الجنة** » [٤] .

ثم قال ابن منده : رواه جماعة عن الثوري موقوفاً – يعني : على عبد الله بن عمرو – والصواب وقفه. وقد سبق أن الإمام ذكره في رواية ابنه عبد الله موقوفاً .

وكذا رواه وكيع عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو .

---

(١) **انظر** : « التمهيد » (١١/ ٥٨) .

(٢) في « التمهيد » (١١/ ٥٨) حيث قال : لا وجه عندي لما قاله محمد بن يحيى من ذلك ولا دليل عليه واتفاق مالك ويونس والأوزاعي ومحمد بن إسحاق أولى بالصواب والنفس إلى قولهم وروايتهم أميل وأسكن ، وهم في الحفظ والإتقان بحيث لايقاس عليهم غيرهم ممن خالفهم في هذا الحديث . وبالله التوفيق . ا . هـ . وما قاله ابن عبد البر هو الأصوب والله أعلم . وانظر « الصحيحة » (٩٩٥) .

(٣) **انظر** : ما تقدم رقم (١٦) .

(٤) الصحيح وقفه .

قال : « أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر كالزرازير يتعارفون فيها ويرزقون من ثمرها » أخرجه الخلال .

[١٢٥] عن هلال بن يساف قال : كنا جلوساً عند كعب فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فقال : يا كعب كل ما في القرآن عرفت غير أربعة أشياء فأخبرني عنهن فسأله عن سجين وعليين فقال كعب : أما عليون فالسماء السابعة فيها أرواح المؤمنين ، وأما سجين فالأرض السابعة فيها أرواح الكفار تحت حد إبليس [(١)] .

■ وقد ثبت في الأدلة أن الجنة فوق السماء السابعة .

وقد ذكرنا ذلك في كتاب « صفة النار » [(٢)] مستوفي .

وقد يستدل للقول بأن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار من القرآن بأدلة منها :

[١] قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤)** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ** ﴾ وهو دخول النار مع إحراقها وإنضاجها ، فجعل هذا كله متعقباً للإحتضار والموت .

[٢] وكذلك قوله تعالى في قصة المؤمن في سورة يس ﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ [يس ٢٦ ، ٢٧] وإنما قال هذا بعد ما قتلوه ، ورأى ما أعد الله له .

---

(١) **صحيح** الإسناد أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٢٤ / ٢٨٢) بنحوه .

(٢) يعني : كتاب « التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار » وقد انتقيت منه صحيحه وسميته « الصحيح المختار من التخويف من النار .. » .

[٣] وقوله : ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** ﴾ [الفجر :٢٧ ، ٢٨] على تأويل من تأول ذلك عند الاحتضار .

[٤] وكذلك قوله : ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ** ﴾ .

[الأعراف : ٣٧] .

[٥] ونظير هذا قوله : ﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل : ٢٨] .



فصل

في ذكر ما يمنع من دخول أرواح الشهداء والمؤمنين الجنة

وإنما تدخل أرواح المؤمنين والشهداء الجنة إذا لم يمنع من ذلك مانع من :

- كبائر تستوجب العقوبة .
- أو حقوق آدمين حتى يبرأ منها .

[١٢٦] ففي « الصحيحين » [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن مدْعماً قتل يوم خيبر، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النَّبي ﷺ : « **بلى والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً** » .

[١٢٧] وعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ فقال : ههنا أحد من بني فلان ؟ ثلاثاً فلم يجبه أحد ثم أجابه رجل فقال : « **إن فلاناً الذي توفي احتبس عن الجنة من أجل الدين الذي عليه فافتكوه ، أو فافدوه . وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله** » .

خرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي [٢] بألفاظ مختلفة .

[١٢٨] وخرج البزار [٣] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النَّبي ﷺ نحوه وفي حديثه « **إن صاحبكم محبوس على باب الجنة** » أحسبه قال : بدين .

[١٢٩] وخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة [٤] من حديث ثوبان عن

---

(١) البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥) .

(٢) رجاله ثقات ، لكنه منقطع غير أنه له شواهداً تعضدد معناه ، أخرجه أحمد (٥ / ١١) وأبو داود (٣٣٤١) والنسائي (٧ / ١٥) وغيرهم من طريق الشعبي عن سمرة بنحوه والشعبي قال أبو حاتم كما في « العلل » (١ / ١٩٢) بعد ذكر هذا الحديث : الشعبي لم يسمع من سمرة . ا هـ . ويشهد لمعناه الأحاديث التي بعده وما سنذكره من غيرها إن شاء الله .

(٣) في سنده حبان بن على وهو ضعيف : أخرجه البزار (١٣٣٨) والطبراني في « الكبير » (١٢٣١٦) .

(٤) **صحيح** : أخرجه أحمد (٥ / ٢٨١) وابن ماجة (٢٤١٢) والترمذي (٢٥٩٢) والنسائي في « الكبرى » (٨٧٦٤) وابن حبان في « صحيحه »كما في « الاحسان » (١٩٨) وغيرهم .



النَّبي ﷺ قال : « **من فارق الروح الجسد وهو بريء من ثلاث دخل الجنة من الكبر ، والغلول ، والدين** » .

وفي المعني أحاديث متعددة [١] .

عودة إلى الأقوال في مستقر الأرواح :

■ **وقال طائفة** : الأرواح في الأرض . ثم اختلفوا :

■ **فقالت** : فرقة منهم : الأرواح تستقر على أفنية القبور وهذا القول هو الذي ذكره عبد الله بن الإمام أحمد في سؤاله المتقدم .

■ وحكى ابن حزم [٢] هذا القول عن عامة أصحاب الحديث .

قال ابن عبد البر [٣] : كان ابن وضاح يذهب إليه ، ويحتج .

[١٣٠] بحديث النَّبي ﷺ حين خرج إلى المقبرة فقال : «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين** » [٤] .

فهذا يدل على أن الأرواح بأفنية القبور .

■ ورجح ابن عبد البر [٥] أن أرواح الشهداء في الجنة وأرواح غيرهم على أفنية القبور تسرح حيث شاءت .

[١٣١] وذكر عن مالك أنه قال : بلغني أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت خرجه ابن أبي الدنيا عن خالد بن خداش قال سمعت مالكاً يقول ذلك [٦] .

---

(١) منها حديث أبي هريرة عند أحمد (٢ / ٤٤٠) وابن حبان (٣٠٦١) بلفظ « نفس المؤمن معلقة ما كان عليه دين » وهو صحيح . ومنها حديث البراء بن عازب عند الطبراني في « الأوسط » (٨٩٧) بتحقيق الطحان وإسناده ضعيف .

(٢) في « الفصل » (٤ / ١٢١) وقال في « الأصول والفروع » ص ٨٥ : وذهب طائفة من أهل السُّنَّة إلى أنها على أفنية القبور » . ا . هـ .

(٣) **انظر** : « التمهيد » (١٤/ ١٠٧ – ١٠٩) .

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٤) ورقم (٩٧٥) عن بريدة .

(٥) **انظر** : التمهيد (١٤ / ١٠٩) وانظر « الروح » ص (١٢٥ – ١٢٦) .

(٦) سنده حسن .

واستدل هو وغيره بحديث :

[١٣٢] ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ « **إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار** يُقال : « **هذا مقعدك إلى يوم القيامة** » [١] .

وهذا يدل على أن الأرواح ليست في الجنة وإنما تعرض عليها بكرة وعشياً وكذا ذكره ابن عطية [٢] وغيره .

ولا حجة لهم فيه من وجهين :

أحدهما : أنه يحتمل أن يكون العرض بكرة وعشياً على الروح المتصل بالبدن، والروح وحدها في الجنة ، فتكون البشارة والتخويف للجسد في هذين الوقتين باتصال الروح به ، وأما الروح أبداً في تنعم أو عذاب .

والثاني : أن الذي يعرض بالغداة والعشي هو مسكن ابن آدم الذي يستقر فيه في الجنة أو النار ولهذا جاء في حديث :

[١٣٣] البراء بن عازب رضي الله عنه عن النَّبي ـ ﷺ ـ قال: « **إن المؤمن إذا فتح له في قبره باب إلى الجنة ، وقيل له : هذا منزلك ، قال : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي** » [٣] .

■ وأما السلام على أهل القبور فلا يدل على استقرار أرواحهم على أفنية قبورهم،فإنه يسلم على قبور الأنبياء والشهداء وأرواحهم في أعلى عليين، ولكن مع ذلك لها اتصال سريع في الجسد ، ولا يعلم كنه ذلك وكيفيته على الحقيقة إلا الله عز وجل ويشهد لذلك الأحاديث المرفوعة والموقوفة على أصحابه ومنهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٠) ومسلم (٢٨٦٦) (٦٥-٦٦) .

(٢) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المغربي الغرناطي رحل وتفقه حتى صار علماً من أعلام العلم وله كتاب « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» توفي سنة ٥٤٦هـ ،وانظر « السير » (١٩ / ٥٨٧ – ٥٨٨) وتاريخ الإسلام وفيات (٥٤١ – ٥٥٠) ص (٧٣ – ٧٤) .

(٣) **صحيح** : تقدم برقم (٣) .

عبد الله بن عمرو بن العاص في أن النائم يعرج بروحه إلى العرش مع تعلقها ببدنه وسرعة عودها إليه عند استيقاظه فأرواح الموتى المتجردة عن أبدانهم أولى بعروجها إلى السماء وعودها إلى القبر في مثل تلك السرعة والله أعلم .

■ ومما استدل به على أن الأرواح في الأرض .

[١٣٤] حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي تقدم سياق بعضه ، وفيه صفة : قبض روح المؤمن « **فإذا انتهي إلى العرش كتب كتابه في عليين ، ويقول الرب سبحانه وتعالى : ردوا عبدي إلى مضجعه ، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فترد إلى القبر** » .

وقال في روح الكافر : « فيصعد بها إلى السماء فتغلق دونه الأبواب فيقول الرب سبحانه وتعالى : ردوا عبدي إلى مضجعه ، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى » .

■ وفي رواية : « ويقول الله : « **ردوا عبدي إلى الأرض ، فإني وعدتهم أني أردهم فيها** » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥)** ﴾ [طه : ٥٥] (١) .

وهذا يدل على أن أرواح المؤمنين تستقر في الأرض ، ولا تعود إلى السماء بعد عرضها ونزلها إلى الأرض ، وهناك أرواح تبقى في الجنة لاسيما الشهداء » .

[١٣٥] وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة رضي الله عنه في صفة قبض روح المؤمن قال : « **ثم يصعد به إلى ربه عز وجل فيقول : ردوه إلى آخر الأجلين** » .

وقال مثله في الكافر وقال فيه : « **رد النبي صلى الله عليه وسلم ربطة على يعني : لما ذكر نتن ريحه** » .

وهذا يشهد برفع الحديث كله .

---

(١) **صحيح** : تقدم برقم (٣) .

[١٣٦] وخرج ابن أبي الدنيا [١] من حديث قسامة عن أبي هريرة عن النَّبي ﷺ : « **إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين، وتقول أيتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضية مرضية عنك إلى رضوان الله وكرامته ، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين** » .

وإن كان الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتازعاً شديداً ويقال : « أيتها النفس الخبيثة آخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فإن لها نشيشاً ، يطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين » .

■ **وقالت فرقة** : تجتمع في موضع من الأرض [٢] .

■ ورجحت طائفة من العلماء أن أرواح الكفار في بئر برهوت منهم القاضي أبو يعلى من أصحابنا في كتابه « المعتمد » ، وهو مخالف لنص أحمد أن أرواح الكفار في النار ، ولعل لبئر برهوت اتصالاً في جهنم في قعرها كما روى في البحر أن تحته جهنم والله أعلم [٣] .

وكل ما ورد من هذه الآثار فإنه محمول على أن الأرواح تنتقل من مكان إلى

---

(١) **صحيح** : ولم أجده في « المطبوع من كتاب القبور » لابن أبي الدنيا وقد أخرجه النسائي (٤ / ٨) من طريق قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه وسنده صحيح ، وقد صححه شيخنا في « الجامع الصحيح » (٢ / ٢٧٠-٢٧١) .

(٢) ذكره عن عبد الله بن عمرو وفي سنده إليه مبهم وعن على ولم يسقه بسنده كاملاً حتى يتسنى الحكم عليه وساقه من طريق آخر فيه على بن زيد وهو ضعيف ثم أعاده عن ابن عمرو وفي السند إليه شهر بن حوشب ، وسموا الموضع الذي فيه أرواح الكفار أنه واد بحضرموت يقال له برهوت وذكر أيضاً على ذلك بعض الحكايات وانظر « الروح » ص ٣٣ ، ونقل ابن حزم في « الفصل » (٤ / ١٢١) أن هذا مذهب الروافض .

(٣) وذكر عقب هذا آثاراً ضعيفة ، وقال ابن رجب في هذا الموضع : روي عاصم بن محمد الرازي في كتاب « الرهبان » ، حدثنا عصمة العباداني قال : كنت أجول في بعض الفلوات إذ نظرت ديراً وفيه صومعة وفيها راهب فناديته ، فأشرف علي، فقلت له : من أين تأتيك الميرة ؟ ،قال :من مسيرة شهر ،قلت : حدثني بأعجب ما رأيت في هذه المواضع ،قال : بينا أنا ذات يوم أدير بصري في هذه البرية القفر وأتفكر في عظمة الله وقدرته، إذ رأيت طائراً أبيض مثل النعامة كبيراً قد وقع على تلك الصخرة وأومأ بيده إلى صخرة بيضاء - فتقيأ رأساً ثم رجلاً ثم ساقاً ، وإذا هو كلما تقيأ عضواً التمت بعضها إلى بعض أسرع من =

مكان ، ولا يدل على أنها تستقر في موضع من الأرض والله أعلم .

■ **وقالت طائفة من الصحابة** : الأرواح عند الله عز وجل وقد صح ذلك عن عبد الله بن عمرو [(١)] .

■ **وقالت طائفة** : أرواح بني آدم عند أبيهم [(٢)] ، آدم عن يمينه وشماله وهذا يستدل له بما .

[١٣٧] في « الصحيحين » عن أنس ، عن أبي ذر رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال : « **فُرج سقف بيتي وأنا بمكة** » فذكر الحديث وفيه : « **فلما فتح علونا السماء الدنيا ، فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة ، وعلى يساره أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنَّبي الصالح والابن الصالح ، قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نَسَمُ بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكى** » . وذكر بقية الحديث .

= البرق فإذا هم بالنهوض نقره الطائر فقطع أعضاءه ، ثم يرجع فيبتلعه ، فلم يزل على ذلك أياماً فكثر تعجبي منه ، وازددت يقيناً بعظمة الله . وعلمت أن لهذه الأجساد حياتاً بعد الموت ، وذكر أنه سأل عن ذلك الرجل يوماً عن أمره فقال : أنا عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب ، أمر الله هذا الملك أن يعذبني إلى يوم القيامة قال : قالت الملك قد أتاني النَّبي ﷺ فأمرني أن أخرج بهذا الجسد إلى جزيرة من البحر الأسود التي تخرج منها هوام أهل النار ، فأعذبه إلى يوم القيامة .

وقد رويت هذه الحكاية من وجه آخر خرجها ابن النجار في « تاريخه » من طريق السلفي بإسناد له ، إلى الحسن بن محمد بن عبيد اليشكري حدثنا إسماعيل بن أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن النجم سنة عشر وثلاثمائة أنه حضر مع يوسف بن أبي التياح بلاد سنباط حتى فتحها وأن سنباط حضر مجلسه وحدثنا عن راهب سماه فأحضر يوسف الراهب فحدثه الراهب بعد الامتناع أن ملكاً نفاه إلى جزيرة على البحر منفردة قال فرأيت يوماً طائراً – فذكر شبيها بالحكاية . ورويت من وجه آخر من طريق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي صاحب « السداميات » المشهورة عن علي بن هارون عن محمود الوراق حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر البزار سمعت أبا محمد بن أحمد بن أبي الإصبغ قال قدم علينا شيخ غريب فذكر أنه كان نصرانياً سنين وأنه تعبد في صومعة قال : فبينما هو ذات يوم جالس ، إذ جاءه طائر كالنسر أو كالكركي فذكر شبيهاً بالحكاية مختصراً أ هـ .

قلت : وهذه حكاية منكرة والذين حكوا هذه القصة لم أعرفهم .

(١) ثم ذكره عن حذيفة وضعفه وانظر « الروح » ص ١٣٠ – ١٣٢ .

(٢) **انظر** : « الروح » ص ١٣٦ – ١٣٧ و « الفتح الرباني » (٢ / ٦٥٤) .

وظاهر هذا اللفظ يقتضي أن أرواح الكفار في السماء وهذا مخالف لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ** ﴾ .

[الأعراف : ٤٠] .

وكذلك حديث البراء ، وأبي هريرة [١] وغيرهما ، أن السماء لاتفتح لروح الكافر ، وأنها تطرح طرحاً وأن رسول الله ﷺ قرأ ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)** ﴾ [الحج : ٣٠] .

ولذا حمله بعضهم على أن هذه الأرواح التي عن يمين آدم وشماله هي أرواح بنيه التي لم تخلق أجسادهم بعد وهذا في غاية البعد، مع منازعة بعضهم في خلق الأرواح قبل أجسادها [٢] .

[١٣٨] وقد ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يزيل هذا الإشكال كله؛ من رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة فذكر حديث الإسراء بطوله إلى أن قال : « **ثم صعد به إلى سماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال: جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل تام الخلقة ، لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من الناس عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة إذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر عن شماله له بكى وحزن ، والباب الذي عن يمينه باب الجنة ، فإذا نظر من يدخل من ذريته الجنة ضحك واستبشر ، والباب الذي عن شماله جهنم ، فإذا نظر من يدخل من ذريته جهنم بكى وحزن** » وذكر الحديث .

---

(١) تقدما رقم (٣) و (١٦) و (١٧) .

(٢) والقول بأن الأرواح خُلقت قبل ، قال به ابن حزم ووافقه بعضهم ، وهو قول بعيد مخالف لما نصت عليه الأدلة ، كما بين ذلك الإمام ابن القيم في « الروح »

وقد خرجه بتمامه البزار في « مسنده »[(١)] وأبو بكر الخلال وغير واحد ، وفيه التصريح بأن أرواح ذريته في الجنة والنار وأنه ينظر إلى أهل الجنة من باب عن يمينه وإلى أهل النار من باب عن شماله[(٢)] وهذا لا يقتضي أن تكون الجنة والنار في السماء الدنيا وإنما معناه أن آدم في السماء الدنيا يفتح له بابان في الجنة والنار ينظر منهما إلى أرواح ولده فيها .

وقد رأى النَّبي ﷺ الجنة والنار في صلاة الكسوف ، وهو في الأرض وليست الجنة في الأرض .

■ وزعم ابن حزم[(٣)] أن الله خلق الأرواح جملة قبل الأجساد[(٤)] وأنه جعلهما في برزخ ، وذلك البرزخ عند منقطع العناصر – يعني : حيث لا ماء ولا هواء ولا نار – وأنه إذا خلق الأجساد أدخل فيها تلك الأرواح ، ثم يعيدها عند قبضها إلى ذلك البرزخ ، وهو الذي رآها رسول الله ﷺ في ليلة أُسري به ، عند سماء الدنيا ، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم ، وأهل الشقاوة عن يساره ، وذلك عند منقطع العناصر . وتجعل أرواح الأنبياء والشهداء في الجنة قال :[(٥)] : وذكر محمد بن نصر المروزي[(٦)] عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلناه بعينه .

---

(١) **ضعيف** : والألفاظ التي فيه زائدة منكرة لذا قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (عند حديث ٣٤٩) : « لو صح لكان المصير إليه أولى من جميع ماتقدم ولكن سنده ضعيف » . والحديث أخرجه البزار كما في « كشف الأستار » (٥٥) والطبري في « تهذيب الآثار » مسند ابن عباس (٧٢٧) من طريق أبي جعفر الرازي قال الحافظ ابن كثير في – « تفسيره » سورة الإسراء : « قلت : أبو جعفر الرازي قال فيه أبو زرعة : يهم في الحديث كثيراً وقد ضعفه غيره أيضاً ووثقه بعضهم » والظاهر أنه سيىء الحفظ ففيم تفرد به فيه نظر وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء والله أعلم أ هـ . .قلت : وذكرته هنا لأن السياق يقتضيه وإلا فليس من شرطنا في هذا الكتاب ، والله المستعان .

(٢) وبنحوه كما في الروح ص ١٣٧ .

(٣) يعني : ابن حزم ، وذلك في الفصل (٤ / ١٣٤) والأصول (ص٨٧) .

(٤) والقول بخلق الأرواح قبل الأجساد قول خطأ، انظر لبيان هذا « الروح » ص ٢٠٧ـ٢١٠ .والصحيح عكسه .

(٥) في « الفصل في الملل والنحل » (٤ /١٢٣) والأصول والفروع (ص ٨٦ ، ٨٧) .

(٦) أفاد ابن القيم في « الروح » ص ١٣٧ : أنه ذكر هذا الكلام في كتاب الرد على ابن قتيبة .

قال [١] : وعلى هذا أجمع أهل العلم

قال ابن حزم : وهو قول جميع أهل الإسلام وغيره .

فكيف يكون قول جميع أهل الإسلام ، وكلامه يقتضي أن الأرواح رآها النَّبي ﷺ ليلة الإسراء تحت السماء الدنيا ، والحديث يدل على إنه إنما رآها فوق السماء الدنيا .

وما حكاه عن محمد بن نصر عن إسحاق بن راهويه ، فلا يدل على ما قاله بوجه [٢] ، فإن محمد بن نصر ، حكي عن إسحاق بن راهويه : إجماع أهل العلم أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه قبل خلق أجسادهم فاستنطقهم واستشهدهم على أنفسهم « ألست بربكم قالوا ، بلي شهدنا » ولم يذكر أكثر من هذا أو هذا لايدل على شيء مما قاله ابن حزم في مستقر الأرواح البتة ، بل ولا على أن الأرواح بقيت على حالها . بل في بعض الأحاديث أنه ردها إلى صلب آدم ولم يقل إسحاق ولا غيره من المسلمين: إن مستقر الأرواح حيث منقطع العناصر، بل وليس هذا من جنس كلام المسلمين ، بل من جنس كلام المتفلسفة.

وقد تقدم في سؤال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه عن الأرواح هل تموت بموت الأجساد ؟ وهذا يدل على أن هذا قد قيل أيضاً وهو كذلك .

■ وقد حكي عن طائفة من المتكلمين ، وذهب إليه جماعة من فقهاء الأندلس قديماً منهم عبد الأعلى بن وهب بن محمد بن عمرو بن لبابة ومن متأخريهم كالسهيلي [٣] وأبي بكر بن العربي [٤] وغيرهما .

---

(١) في المصدرين السابقين

(٢) وبنحوه في « الروح » ص ١٣٧ .

(٣) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن الخطيب بن عبد الله السهيلي الإمام المشهور صاحب كتاب « الروض الأنف » مترجم في « وفيات الأعيان » لابن خليكان وغيره . انظر مقدمة « الروض الأنف » (١/٢٥-٢٩) .

(٤) هو الإمام الفقية المفسر المشهور محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها ومن أشهر كتبه « عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي » و « أحكام القرآن » توفي سنة ٥٤٣ هـ .

قال أبو الوليد بن الفرضي في « تاريخ الأندلس » : أخبرني سليمان بن أيوب .
قال : سألت محمد بن عبد الملك بن أيمن عن الأرواح ؟ .
فقال لي : كان محمد بن عمرو بن لبابة يذهب إلى أنها تموت ، وسألته عن ذلك ؟ .
فقال : كان يذهب عبد الأعلى بن وهب فيما قال ابن أيمن فقلت له : إن عبد الأعلى كان قد طالع كتب المعتزلة ونظر في كلام المتكلمين .
فقال : إنما قلدت عبد الأعلى ليس من هذا شيء . انتهى .

وقد استدل أرباب هذا القول :

[١] بقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .
وهذا حق كما أخبر الله به لا مرية فيه ، لكن الشأن في فهم معناه ، فإن النفس يراد بها مجموع الروح والبدن .

- كما في قوله تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)** ﴾ . [الشمس : ٧ ، ٨] .
- وقوله سبحانه : ﴿ **فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ [النجم : ٣٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ [النساء : ٢٩] .
- وقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)** ﴾ [المدثر : ٣٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا** ﴾ [النحل : ١١١] .

[١٣٩] وقول النبي ﷺ « **ما من نفس منفوسة إلا الله خالقها** » [١] .

[١٤٠] وقوله عليه السلام : « **ما من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مئة سنة وهى حية يومئذ** » [٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٩) ومسلم (١٤٣٨) (١٣٢) من حديث أبي سعيد بلفظ « ... ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها » .
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٣٧) (٢١٨) .

وفي رواية [١] « **لا يأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم** » .

والمراد موت الأحياء الموجودين في يومه ذلك ومفارقة أرواحهم لأبدانهم قبل المئة سنة ، ليس المراد عدم أرواحهم واضمحلالها فكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ إنما المراد كل مخلوق فيه حياة فإنه يذوق الموت ، وتفارق روحه بدنه ، فإن أراد أنها تعدم وتتلاشى فليس بحق ، وقد اشتد نكير العلماء لهذه المقالة ، حتى قال سحنون بن سعيد وغيره : هذا قول أهل البدع ، والنصوص الكثيرة الدالة على بقاء الروح بعد مفارقتها الأبدان ترد ذلك وتبطله .

ولكن تخيل بعض المتأخرين موت الأرواح عند النفخة الأولى مستدلاً بقوله تعالى ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ** ﴾ .

ورد عليه آخرون وقالوا : إنما المراد به يموت من لم يكن مات قبل ذلك .

ولكن ورد عن طائفة من السلف [٢] في قوله : ﴿ **إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ** ﴾ أن المستثنى هم الشهداء ، وهذا يدل على أن للشهداء حياة يشاركون فيها الأحياء وقد قيل في الأنبياء مثل ذلك أيضاً .

وعلى هذا حمل طائفة من العلماء منهم البيهقي وأبو عبد الله القرطبي .

[١٤١] قول النَّبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ** ﴾ **فأكون أنا أول من يبعث ، فإذا أنا بموسى آخذ بالعرش ، فلا أدري أجوزي بصعقة الطور أم بعث قبلي** » [٣] .

وفي رواية «**أو كان ممن استثنى الله** » [٤] .

---

(١) هي لمسلم (٢٥٣٩) (٢١٩) من حديث أبي سعيد وفي الباب عن ابن عمر في البخاري (١١٦) ومسلم (٢٥٣٧) وعن علي وبريدة وأبي ذر وأنس وسفيان بن وهب انظر مسند أحمد تحت رقم (٥٦١٧) طبع مؤسسة الرسالة .

(٢) **انظر** « تفسير الطبري » عند هذه الآية (٦٨) من سورة الزمر .

(٣) أخرجه البخاري (٢٤١١) ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) عند البخاري (٣٤٠٨) ومسلم (٢٣٧٣) (١٦٠) من حديث أبي هريرة في الباب عن أبي سعيد عند البخاري (٣٣٩٨) ومسلم (٢٣٧٤) .

لأن حياة الأنبياء أكمل من حياة الشهداء بلا ريب فشملهم حكم الأحياء أيضاً ، ويصعقون مع الأحياء حينئذ ، ولكنها صعقة غشى، لا صعقة موت ، إلا موسى تردد فيه أصعق أم كان ممن استثنى الله ، فلم يصعق مجازاة له بصعقة الطور ، لكن على هذا التقدير فموسى مبعوث قبل محمد ﷺ لا محالة ، فكيف يتردد النَّبي ﷺ في ذلك كله ؟ .

الفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة :

من وجهين :

أحدهما : أن أرواح الشهداء يخلق لها أجساد ، أو هي الطير التي تكون في حواصلها ، فيكمل بذلك نعيمها ، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد ، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله ، فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ .

والثاني : أنهم يرزقون من الجنة ، وغيرهم لم يثبت له في حقه مثل ذلك فإنه جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة وروى « يعلقون » بفتح اللام وضمها .

فقيل : إنهما بمعنى واحد ، وأن المراد الأكل من الشجر .

قال ابن عبد البر : وقيل : رواية الضم معناها : الأكل .

ورواية الفتح : معناها التعلق ذكره ابن الجوزي .

■ وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم في الأكل والله أعلم .

■ وقد ذهب طائفة من المتكلمين إلى أن الروح عرض لا تبقى بعد الموت ، وحملوا ماورد من عذاب الأرواح ونعيمها بعد الموت على أحد أمرين :

﴿ ١ ﴾ إما العرض الذي هو الحياة يعاد إلى جزء البدن .

﴿ ٢ ﴾ أو على أن يخلق في بدن آخر .

وهذا الثاني باطل قطعاً ، لأنه يلزم منه أن يعذب بدن غير بدن الميت ، مع روحٍ غير روحه ، فلا يعذب حينئذ بدن الميت ولا روحه ، ولاينعمان أيضاً ، وهذا باطل قطعاً .

والأول : باطل ـ أيضاً ـ بالنصوص الدالة على بقاء الروح منفردة عن البدن بعد مفارقتها له ، وهي كثيرة جداً ، وقد سبق ذكر بعضها .



الباب العاشر

في ذكر ضيق القبور ، وظلمتها على أهلها وتنورها عليهم بدعاء الأحياء ، وما ورد من حاجة الموتى إلى دعاء الأحياء وانتظارهم ذلك

[١٤٢] **قال ابن المبارك :** حدثنا صفوان بن عمر قال : حدثنا سليم بن عامر قال : خرجنا في جنازة على باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي ، فلما صلى على الجنازة ، وأخذوا في دفنها ، قال أبو أمامة : إنكم قد أصبحتم ، وأمسيتم في منزل تغنمون منه الحسنات والسيئات توشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحشة ، وبيت الظلمة ، وبيت الضيق ، إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلى يوم القيامة (١) .

[١٤٣] **وقال ابن أبي الدنيا:** (٢) أخبرنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن حرب المكي ، قال: قدم علينا أبو عبد الرحمن العمري العابد ، فاجتمعنا إليه ، وأتاه وجوه أهل مكة ، قال : فرفع رأسه فنظر إلى القصور المحدقة بالكعبة فنادى بأعلى صوته : يا أصحاب القصور المشيدة اذكروا ظلمة القبر الموحشة ، يا أهل النعيم والتلذذ ، اذكروا الدود والصديد، وبلى الأجساد في التراب قال : ثم غلبته عيناه فنام

[١٤٤] **قال أبو الحسن بن البراء :** أنشدني إسماعيل بن إدريس السمار لأبي العتاهية يبكي على نفسه في مرثية :

لأبكين علي نفسي وحق ليه	ياعين لا تبخلي عني بعبرتيه
لأبكين لفقدان الشباب فقد	جد الرحيل عن الدنيا برحلتيه
يانأي منجعي ياهول مطلعي	ياضيق مضجعي يا بعد شقتيه
المال ما كان قدامي لأخرتي	مالا أقدم من مال فليس ليه

(١) **صحيح** الإسناد أخرجه ابن المبارك كما في « زوائد الزهد » (٣٦٨) .

(٢) **حسن** الإسناد أخرجه في القبور (١٨٢) .

فصـــل

[١٤٥] وخرَّج الإمام أحمد من حديث [١] الأسود الذي كان ينظف المسجد فمات فدفن ليلاً فأتى رسول الله ﷺ فأخبر فقال : « **انطلقوا إلى قبره فقال : إن هذه القبور ممتلئة على أهلها ظلمة ، وإن الله عز وجل ينورها بصلاتي عليهم فأتى القبر فصلى عليه** » .

[١٤٦] وخرج مسلم [٢] نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ لكن قد قيل [٣] إن آخره مدرج في حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

---

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد (٣/ ١٥٠) والدارقطني (٢/ ٧٧) من طريق صالح بن رستم والبيهقي (٤/ ٤٦) من طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت عن أنس ، وأخرجه الطيالسي (٢٤٤٦) من طريق صالح بن رستم وحماد بن زيد عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة . قال البيهقي (٤/ ٤٦-٤٧) : وهو محفوظ من الوجهين .

(٢) مسلم (٩٥٦) (٧١) وهو في البخاري (٤٥٨) و (٤٦٠) .

(٣) **انظر** : « سنن البيهقي » (٤/ ٤٧) والتعليق على رقم (٨٦٣٤) من « مسند أحمد » طبع مؤسسة الرسالة .

الباب الحادي عشر
في ذكر زيارة الموتى والاتعاظ بهم

[١٤٧] خرج مسلم في « صحيحه » [(١)] من حديث بريدة رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: « **كنت نهيتكم عن زيارةالقبور فزوروها** » .

[١٤٨] وخرَّج مسلم من حديث [(٢)] أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: « **استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي ، فزوروها فإنها تذكر الموت** » .

[١٤٩] **قال ابن أبي الدنيا :** حدثنا إسماعيل بن عبد الله العجلي قال أنشدنا رجل ونحن بالمقابر .

ألا يا عسكر الأحياء ... هذا عسكر الموتى
أجابوا الدعوة الصغرى ... وهم ينتظرون الكبرى
يحثون على الزاد ... وما زاد سوي التقوى
يقولون لكم جدوا ... فهذا آخر الدنيا

[١٥٠] وبإسناده عن عمارة المغربي قال : قال لي : محمد بن واسع ما أعجب لي منزلك ، قلت : وما يعجبك من منزلي وهو عند القبور ؟ .

قال : وما عليك يكفون الأذي ويذكرون الآخرة » [(٣)] .

[١٥١] وعن الحسن أنه مر على مقبرة فقال : ويالهم من عسكر ما يسكتهم وكم فيهم من مكروب » [(٤)] .

[١٥٢] **قال ابن أبي الدنيا :** حدثنا إبراهيم بن سيار ، قال : قيل لبعض

---

(١) مسلم (٩٧٧) .
(٢) (٩٧٦) وأخرج ابن ماجة (١٥٧٠) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في زيارة القبور . وسنده صحيح وهو في « الجامع الصحيح » لشيخنا رحمه الله (٢ / ٢٨٣ - ٢٨٤) .
(٣) **صحيح** في « القبور » رقم (١٦٩) .
(٤) **صحيح** في « القبور » رقم (١٠٨) .

حكماء العرب : ما أبلغ العظات ؟ قال النظر إلى محلة الأموات .

[١٥٣] لأبي العتاهية[١] :

إني سألت التراب ما فعلت بعدي ... بجسد وقع فيه الدود متعفرة
فأجابني صيرت ريحهم ... يؤذيك بعد روائح عطره
وأكلت أجساداً مُنَعمة ... كان النعيم يهزها نظرة
لم يبق غير جماجم عريت ... بيض تلوح أو أعظم نخرة

[١٥٤] قال ابن أبي الدنيا[٢] : حدثنا محمد بن الحسين قال : قال أبو إسحاق شهدت جنازة رجل من إخواني – منذ خمسين سنة – فلما دفن وسوي عليه التراب ، وتفرق الناس ، جلست إلى بعض تلك القبور ، ففكرت فيما كانوا فيه من الدنيا، وانقطاع ذلك كله عنهم فأنشدت أقول :

سلام على أهل القبور الدوارس ... كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة ... ولم يأكلوا من بين رطب ويابس
ألا خبروني أين قبر ذليلكم ... وقبر العزيز الباذخ المتمارس

وغلبتني عيناى فقمت وأنا محزون .

[١٥٥] قال ابن أبي الدنيا[٣] : وأنشدني الرياشي– رحمه الله تعالى – أبياتاً خمسة فقال :

تهيج منازل الأموات وجداً ... ويحدث عن رؤيتها اكتئاب
منازل لايجيبك حين تدعو ... وعزَّ عليك أنك لا تجاب
وكيف يجيب من تدعوه ميتاً ... تضمنت الجنادل والتراب
مقيم إلي أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يرجي وأنت قريب
تزيد بلي في كل يوم وليلة ... وتنسي كما تبلي وأنت حبيب

---

(١) أخرجها ابن أبي الدنيا في « القبور » (٨٧) .
(٢) في « القبور » (١٨٠) وسنده صحيح إلى أبي إسحاق .
(٣) في « القبور » (١٤٦) وهو صحيح إلى قائله وهو عياش بن الفرج الرياشي .

[١٥٦] خرج ابن ماجة والترمذي [١] من حديث هانيء مولى عثمان قال : كان عثمان إذ وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي من هذا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « **إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه** » .

قال : وقال رسول الله ﷺ : « **ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه** » .

[١٥٧] وخرج الإمام أحمد وابن ماجة [٢] من حديث البراء بن عازب قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ مر بجماعة ، فقال : « **علام اجتمع هؤلاء ؟** » قيل: على قبر يحفرونه قال : فبدى بين يدي أصحابه مسرعاً ، حتى انتهي إلى القبر فجثيء عليه قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع ، فبكي حتى بلَّ الثري من دموعه ثم أقبل إلينا فقال : « **أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا** » .

[١٥٨] وعن الفضل بن مهلهل [٣] – أخي المفضل – وكان من العابدين – قال : كان جليس لنا ، حسن التخشع والعبادة يقال له : مجيب وكان من أجمل الرجال فصلى حتى انقطع عن القيام ، وصام حتى اسود ثم مرض فمات ، وكان محمد بن النضر الحارثي له صديقاً ، ومات محمد قبله، قال : فرأيت محمداً في منامي بعد موت مجيب ، فقلت : ما فعل أخوك مجيب ؟، قال لحق بعمله ، قلت : فكيف وجهه ذاك الحسن ؟ ، قال : أبلاه والله التراب ، قال : وقلت : وكيف وأنت تقول لحق بعمله ؟ قال : يا أخي علمت أن الأجساد في القبور تبلي ، وأن الأعمال في الآخرة تحيا ، قلت : يبلون حتى لايبقي منهم شيء ، ثم يجيئون يوم القيامة ، أى والله يا أخي يبلون حتى يصيروا رفاتاً ثم يجيبون عند

---

(١) **حسن** ؛ أخرجه ابن ماجة (٤٢٦٧) والترمذي (٢٤١٠) وقال : حسن غريب وأقره شيخنا في « الصحيح المسند » رقم (٩١٠) .

(٢) حسنه الشيخ الألباني ، أخرجه أحمد (٤ / ٢٩٤) وابن ماجة (٤١٩٥) وغيرهما وحسنه الشيخ الألباني في « الصحيحة » (١٧٥١) وانظر التعليق على « مسند أحمد » (١٨٦٠١) طبع مؤسسة الرسالة .

(٣) السعدي أخو المفضل قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٧/ ٦٧) كان عابداً كوفيا سألت أبي عنه فقال : يكتب حديثه، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٩ / ٥) والأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٧٧) وسنده حسن إن شاء الله .

الصيحة كأسرع من [اللمح] [١] .

[١٥٩] وأنشد بعضهم :

ما حال من سكن الثري ما حاله ... أمسي وقد رثت هناك حباله
أمسي ولا روح الحياة تصيبه ... أبناء لطف الحبيب يناله
أمسي وقد درست محاسن وجهه ... وتفرقت في قبره أوصاله
واستدلت منه المجالس عبرة ... وتقسمت من بعده أمواله
مازالت الأيام تلعب بالفتي ... والمال يذهب صفوه وجلاله

[١٦٠] روى ابن أبي الدنيا [٢] باسناد له قال : قرأت على قبر بمقابر البصرة مكتوب :

يا غافل القلب عند ذكر المنيات ... عما قليل ستثوى بين أموات
فاذكر محلك قبل الحلول به ... وتب إلى الله من لهو الملذات
إن الحمام له وقت إلى أحد ... فاذكر مصائب أيام وساعات
لاتطمئن إلى الدنيا وزينتها ... قد حان للموت ياذا اللب أن ياتي

[١٦١] وقرأت على قبر آخر [٣] :

ستعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل
إذا انقطعت يوماً من العيش مدتي ... فإن غناء الباكيات قليل

[١٦٢] وقال قرأت على قبر بالأيلة [٤] :

الموت بحر غالب موجه ... تضل فيه حيلة السابح
يانفس إني قائل فاسمعي ... مقالةً من مشفق ناصح
ما صحب الإنسان في قبره ... مثل التقي والعمل الصالح

---

(١) في « الأصل » « الهم » والمثبت من « القبور » .
(٢) في « القبور » (٢٢١) .
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٢٢٢) .
(٤) في « القبور « (٢٢٧) .

[١٦٣] وقريء على حائط مقبرة [١] **:**

يا أيهــــا الواقف بالقـــبـــور بين أنـاس عـــيـب حـــضــــور
قد سكنوا في خرب مغمور بين الثري وجندل الصخر ينظرون صيحة النشور
ولاتك عن مـصـيـرنا في غـفـلة غـــداً إلي منزلنا تصـيــر

[١٦٤] وفي كتاب « العجائب » ليشكر الحافظ :

قريء على قبر بطبرستان مكتوب :

أمـا ترون مـحلي غـداً تصـيـرون على أبلى التـراب شــبــابي
وكلكم سواء سبـيلكم كسبيـ ـلي سـبـيل من كـان قـبلي



(١) في « القبور » (٢٥٢) .

الباب الثاني عشر
في استحباب تذكر القبور والتفكر في أحوالهم وذكر أحوال السلف في ذلك

[١٦٥] وعن [شعيب] [١] بن أبي حمزة قال كتب عمر بن العزيز إلى بعض مدائن الشام .

أما بعد : « فكم للتراب في جسد ابن آدم من مأكل وكم للدود فيه من طريق مخترق وإني أحذركم ونفسي ـ أيها الناس ـ العرض على الله عز وجل » [٢] .

[١٦٦] وقال ابن أبي الدنيا : [٣] حدثنا [محمد الصيفي] [٤] قال انتفض غنام ابن على يوماً وهو مع أصحابه فقال له بعضهم : ما الذي أصابك ؟ ، قال : « ذكر اللحد »

[١٦٧] قال : [٥] وحدثنا محمد بن أحمد قال : قال هشام الدستوائي : ربما ذكرت الميت إذا كفن في أكفانه فأعظ نفسي .

[١٦٨] وقال ابن أبي الدنيا : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

لبيك لأهوال القبور من بكي ... ولا تنسين القبر يوماً ولا البلي
كفى حزناً يوماً ترى فيه مكرماً ... كرامته أن يرتدوا جسمه الثرى

---

(١) في الأصل « شيبة » وهو خطأ والتصويب من « القبور » .
(٢) **صحيح** إلى شعيب أخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » (١٨١) .
(٣) في « القبور » (١٦٢) .
(٤) كذا في « الأصل » وفي « القبور » أبو محمد التحفي .
(٥) **حسن** ، وهو في « القبور » (١٦٣) .

الباب الثالث عشر
في ذكر كلمات منتخبة من كلام السلف الصالح في الألفاظ بالقبور وما ورد عنهم من ذلك من منظوم ومنثور

[١٦٩] وعن عبد الله بن الميزار قال : لابن آدم بيتان : بيت على ظهر الأرض وبيت في بطن الأرض .

فعمد للذي على ظهر الأرض فزخرفه وزينه ، وجعل فيه أبواباً للشمال ، وأبواباً للجنوب ، وصنع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه .

ثم عمد إلى الذي في بطن الأرض فأخربه ، فأتى عليه أت فقال :

أرأيت هذا الذي قد أصلحته كم تقيم فيه ؟ قال : لا أدري

قال : فالذي قد أخربته كم تقيم فيه ؟ قال : فيه مقامي .

قال : تقر بهذا على نفسك ، وأنت رجل يعقل ؟! [١] .

[١٧٠] وعن محمد بن واسع قال : كل يوم ينتقل منا إلى المقابر ثلاثة وكأنك بهذا الأمر قد عم أحزاناً حتى [٢] [أولنا] [٣] .

[١٧١] وقال مسروق [٤] **:** ما من بيت خير للمؤمن من لحده ، قد استراح من أمر الدنيا [أو من من عذاب الله] [٥] .

[١٧٢] قال « المفضل بن غسان » [٦]: مَرَّ رجلٌ بقبر محفور، فقال :

---

(١) **صحيح** ، أخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » (١٠٤) .
(٢) **حسن** ، أخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٧) مطولاً .
(٣) في «الأصل » « منا لنا » والتصويب من « القبور » .
(٤) **صحيح** ، أخرجه وكيع في « الزهد » (٢/٣١٣) ومن طريقه ابن أبي الدنيا في « القبور » (١٤١) .
(٥) في « الأصل » [أو من عذاب الله] والتصويب من « القبور » .
(٦) في « الأصل [مفضل] والصواب المثبت كما في « القبور » .

[نِعْمَ] [١] المقيل للمؤمن هذا » [٢] .

[١٧٣] **قال ابن أبي الدنيا** [٣] **:** أنشدني أبو جعفر القرشي :

تناجت أجـــداث وهن سكوت ... وســاكنهــا تحت التــراب حنوت
يا جــامع الدنيــا لغيــر بلاغــه ... لمن تجــمع الدنيـــا وأنت تموت

[١٧٤] ولما انصرف الناس من جنازة داود الطائي – رحمه الله – أنشده ابن السماك – رحمه الله – :

انصـــــرف النـاس إلـي دورهـم ... وغـــودر الميت في رمـــســـه
مـــرتهـن النـفس بأعـــمـــالـه ... لا يرتجي الإطلاق من حـــبـســه
لنفـــســه صـــالح أعـــمـــاله ... ومـــا ســواها فـعلي نفـســه
قف بالمقـابر وانظرن إن وقـعت بهـا ... لله درك مـــاذا تســتــر الحـــفـــر
فـفـيـهم لك يا مـغـرور مـوعظة ... وفـيـهم لك يامـعـتـبـر مـعـتـبـر

[١٧٥] **قال أبو العتاهية :**

رويدك ياذا القـصـر في شـرفـاته ... فـــإنه عنه تســـحب وتدعج
ولابد من بيت انقطاع ووحـــشـــة ... وإن غـــرك البـــيت الأنيق المبـــهج

[١٧٦] **وقـال بعضهـــم :**

كم ببطن الأرض ثاو من وزير وأمـيـر ... وصغير الشأن وعبد خامل الذكر حقير
شـملت قـبـور القـوم في يوم قـصيـر ... ولـم تعـــرف غنيـــاً من فـــقـــيـــر

---

(١) زيادة من « القبور » .
(٢) **حسن** ؛ أخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » (١٥٢) .
(٣) « القبور » (١٨٦) .

[١٧٧] وقال بعضهم :

تقدمين تزوداً قريباً من فعالك إنما قرين الفتي في القبر ما كان يفعل
إن كنت مشغولاً بشيء فلا يكن بغير الذي يرضي الله تشغل
ما صاحب الإنسان من بعد موته إلي قبره إلا الذي كان يعمل
إنما الإحسان ضيف لأهله يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

تم الكتاب بحمد الله ، وحسن توفيقه في خامس عشر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وثمان مئة على يد العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد الشهير بابن القطفة الحقي ، غفر الله له ولسائر المسلمين .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فهرس

رقم الصفحة